الجمهورية العراقية
وزارة الاعـلام
مديرية الآثار
بغـداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه

الجزء الاول والثاني ١٩٧٤ المجلـد الثلاثون

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقـديم	الدكتور عيسى سلمان
١	البيئة الطبيعية القديمة في العراق	فؤاد سـفر
١١	تطور علم الحيوان في الحضارات القديمة	عصام الملائكة
٢٧	بحث في الامثال العراقية ـ دراسة مقارنـة لامثـال المجتمع العراقي القديم والمعاصر ـ القسم الثاني ـ	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
٤٧	اقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ	الدكتورفاضل عبدالواحد علي
٥٩	ملامح الوجود السامي في جنوبي العراق	عبدالكريم عبدالله
٧٩	الطب العراقي القديم	الدكتور سامي سعيد الاحمد
١٣٧	مميزات الزجاج العراقي القديم وصفاته	هناء عبدالخالق
١٥٥	الحضر : النقود المكتشفة خلال تنقيبات (١٩٧١ ـ ١٩٧٢)	الدكتور واثق الصالحي
١٦٣	خان مرجان وصيانته	عطا الحديثي
١٧١	موضع سامراء وتحريات المعتصم	الدكتور طاهر العميد
٢٠٣	خزف سامراء الاسلامي	خالد خليل الاعظمي
٢٢٣	الكنى والالقاب على نقود دولتي المرابطين والموحدين في شمال افريقيا والاندلس	الدكتور محمد باقر الحسني
٢٧٣	التربة في العمارة الايوبية في سوريا	الدكتور عادل نجم عبو
٢٨١	حلي اسلامية اقتناها المتحف العراقي	زكية عمر العلي

التقـارير والانبـاء والمراسلات

٢٩٧	مسح آثاري في منطقة جزيرة عفك	صباح جاسم الشكري
٣٠٩	المجتمع العائلي الموسع والحكم الذاتي فى «أرافا»	ترجمة ـ سليم طه التكريتي
٣٢٩	آثار احرزها المتحف العراقي ـ٤ـ	كمال منصور عبادة
٣٣٥	البيئة الحيوانية لموقع ام الدباغية	ترجمة ـ ميسون حسو
٣٣٩	المؤتمر السابع للآثار في البلاد العربية	علي محمد مهدي
٣٤٣	اضواء جديدة على حوض الخليج العربي وتكوين سهل العراقي الجنوبي	
٣٤٥	المكتبة الآثارية	
٣٥٣	منجزات ومشاريع مديرية الآثار العامة	صادق الحسني

خزف سامراء الأسلامي

بقلم : خالد خليل حمودي الاعظمي
ماجستير بالآثار الاسلامية

تقع مدينة سامراء على بعد (١٢٠) كيلو متراً الى الشمال من بغداد ، وذلك على الضفة اليسرى لنهر دجلة ، وقد بدأ ببنائها الخليفة العباسي المعتصم بالله بن هرون الرشيد في سنة ٢٢١ هجرية (٨٣٦ م)، حيث نقل مركز الخلافة من بغداد اليها وجعلها عاصمة للدولة العباسية[١] .

تذكر المراجع العربية ان المعتصم استحضر الى مدينة سامراء من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزراعة وهندسة الماء واستنباطه ، وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها ، وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر ، وحمل من الكوفة من يعمل الادهان ، فأنزل أهل كل مهنة وصناعة بعيالهم بهذه المواضع ، وجعل هناك اسواقا لاهل المهن بالمدينة[٢].

استمرت سامراء حاضرة للدولة العباسية في عهود الخلفاء السبعة الذين تتابعوا على كرسي الخلافة وهم : الواثق هرون بن المعتصم ، والمتوكل جعفر بن المعتصم ، والمنتصر محمد بن المتوكل ، والمستعين أحمد بن محمد بن المعتصم ، والمعتز ابو عبدالله بن المتوكل ، والمهتدي محمد بن الواثق ، والمعتمد أحمد بن المتوكل[٣] الذى تركها في سنة ٢٧٢ هجرية (٨٨٣ م) وعاد الى بغداد .

خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة شهدت سامراء حركة عمرانية واسعة تمثلت في بناء العمائر المزخرفة التي من أشهرها قصور الخلفاء كالقصر الهاروني والعروس والمختار والوحيد والجعفري

---

(١) اليعقوبي : البلدان ، طبعة النجف(١٩٥٧) ص٢١ . ابن الطقطقى : الفخري في الاداب السلطانية مطبعة محمد علي صبيح بمصر ، ص ١٩٠ .

(٢) اليعقوبي : المرجع السابق ص ٢٤ وص٢٩

(٣) اليعقوبي : المرجع السابق ص ٢١ .

والمعشوق ، اما مساجدها فان المسجد الجامع المشهور بمئذنته الملوية ومسجد أبي دلف غنيان عن التعريف .

هجرت مدينة سامراء ولم يمض على بنائها غير نصف قرن تقريبا (٢٢١-٢٧٢ هجرية = ٨٣٦-٨٨٣ م) وظلت رهينة الاهمال حتى مطلع القرن الحالي حينما اتجه علماء الآثار الى الكشـــف عن معالمها . ففي سنة (١٩٠٩) قام المهندس الفرنسي هنري فيوله (H. Viollet) لاول مرة بأجراء بعض التنقيبات الاستكشافية في (دار الخليفة) . وبعد ذلك أجريت حفائر منتظمة من قبل العالم الالمانـي هرتسفلد (Herzfeld) وذلك مع بعثة علمية قامت بتنقيبات واسعة النطاق واستمرت في عملها حتى نشوب الحرب العالمية الاولى حيث شملت تنقيباتها: دار الخليفة ، وقصر البلكوارا ، والمسجد الجامع ، وتل العليق ، ونحو خمسة عشر دارا من دور سكنى العامة . وقد نشرت نتائج هذه التنقيبات في خمسة مجلدات تحت عنوان[٤] :

Herzfeld, Lamm, Sarre :
Die Ausgrabungen von Samarra, Berlin.

وبعد ذلك قامت مديرية الاثار العامة ببعض التنقيبات الاستكشافية[٥] بدأت منذ سنة (١٩٣٦) واستمرت في فترات متقطعة حتى سنة (١٩٣٩)[٦] .

ان التنقيبات التي أجريت في أطلال سامراء كانت لها نتائج مهمة فيما يخص الخزف في العصر الاسلامي اذ ان تلك الفترة التي عاشتها هذه المدينة ، فقد أمدتنا بمعلومات قيمة عن الخزف من حيث انواعه وأشكاله ومادته ، مما ساعد على تحديد تاريخ عدد غير قليل من المواقع والابنية الاسلامية التي أجريت فيها الحفائر الاثرية خاصة وأن اللقى الاثرية المكتشفة في المواقع الاسلامية تكاد لاتخلو من الكسر الخزفية .

الخزف

تذكر المعاجم اللغوية العربية أن الخزف هو «ماعمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارا[٧] . وقد أطلق الباحثون كلمة الخزف على الفخار المزجج حيث شاع استعمالها . ولعل من أهم الدوافع التـــي حثت الصناع على استعمال التزجيج هو سد المسامات لمنع تسرب السوائل منها ، كما ويجعل المصنوعات صقيلة لماعة جميلة المظهر .

كان التزجيج معروفا في العراق منذ العصور القديمة ، كما عرفت صناعة الخزف في تلك العصور كذلك[٨] . ويعتبر الخزف من المواد الاثرية المهمة

---

(٤) تناول كل مجلد من هذه المجلدات الخمسة مادة خاصة ، كما أن طباعتها تمت في عدة سنوات . فالمجلد الاول تناول الزخارف وطبع سنة (١٩٢٣) والمجلد الثاني الفخار وطبع سنة (١٩٢٥) ، والمجلد الثالث عن الرسوم والنقوش وطبع سنة (١٩٢٧) ، والمجلد الرابع عن الزجاج وما يتصل به وطبع ســنة (١٩٢٨)، والمجلد الخامس خصص للكلام عن فخاريات العصور القديمة وطبع سنة (١٩٣٠) .

(٥) مديرية الاثار العامة . سامراء (طبعة سنة ١٩٤٠) ، حفريات ســامراء (٩٣٦-١٩٣٩) ج١

(٦) تقوم مديرية الاثار العامة منذ سنوات عديدة بأعمال الصيانة في مواضع متعددة من سامراء ومن أبرزها جامع الملوية وقصر العاشق . وقـــد اكتشفت بعض اللقى الاثرية خلال أعمال الصيانـة هذه أيضا . وما تزال الصيانة جارية في مواســـم متعاقبة الى الوقت الحاضر .

(٧) ابن منظور : لســـان العـــرب ، بيروت (١٣٧٥ هـ/١٩٥٦ م) ، المجلد التاسع ص ٦٧ .

(٨) عثر خلال التنقيبات على امثلة كثيرة على ذلك توجد نماذج منها معروضة في المتحف العراقي في القاعات الاشورية والبابلية والحضرية والساسانية ويعتقد بعض العلماء ان التزجيج عرف في العـــراق

التي غالبا ما يعثر عليها المنقبون في المواقع والابنيـــة المندرسة لذلك فهو خير دليل على قياس درجـــة المدنية ونوع الحضارة التي بلغتها الشعوب في شتى العصور •

كانت صناعة الاواني والتحف الخزفية تتم وفق طرق يمكننا تلخيصها بما يأتي :

يختار الخزاف طينة جيدة نقية خاليـــة من الشوائب ، ثم يقوم بعملية ادماج تلك الطينة ادماجا تاما (Wedging) بحيث تصبح كل جزيئاتها وحدة متعادلة متجانسة • وبعدذلك يتم صنع الاشكال المطلوبة اما بواسطة اليد او العجلـــة أو الـدولاب (Wheel) • فاذا تم ذلك توضع تلك المصنوعات داخل الفرن (Kiln) حيث تشوى وفق طريقتين : اما أن تكون متصلة اتصالا مباشرا بالنار واللهب ، أو توضع في مكان معين من الفرن مقفل باحكام ولا تدخله النار والدخان حيث يتأثر ذلك المكان بحرارة النيران المحيطة به • ولضمان عدم سيلان الطلاء الزجاجي والتصاق المصنوعات بارضية الفرن وتلفها فقد استعمل الخزاف مساند أو حوامل صغيرة (Stilts) ثلاثية الاطراف في الغالب توضع فوقها المصنوعـات الخزفية •

واذا انتقلنا الى العصر الاســـلامي نجـــد بان المسلمين شاهدوا في البلاد التي فتحوها صناعة زاهرة للخزف فأخذوا عنهـم ذلـــك وطـوروا ما ورثوه واستطاعوا أن يقدموا للانسانية أنواعا جديدة وأشكالا عديدة من المصنوعات الخزفية حتى أصبح للخزف الاسلامي طابع ظاهر يتميز بطريقة خاصة في الصناعة والزخرفة ، حيث ازدان بشتى أنواع العناصر النباتية والاشكال الهندسية ورسوم الاشخاص والحيوانات المختلفة[٩] •

رغم ازدهار صناعة الخزف في أنحاء كثيرة من العالم الاسلامي فان الباحثين يلاقون صعوبة في سبيل الوقوف على اسرار هذه الصناعة ، ذلك لان النصوص الواردة في المراجع العربية نادرة مشتتة وقليلة الاهمية ومع ذلك فقد وصلنا مخطوط اسمه « جواهـــر العرايس وأطايب النفايس » ألفه شخص يدعـى « القاشاني » في مدينة تبريز بايران سنة (٧٠٠ هجرية = ١٣٠١ ميلادية) وقد احتوى هذا المخطوط على خاتمة تبحث في صناعة الخزف الاسلامي[١٠]

ان الامثلة التي وصلتنا من خزف العصر الاموي قليلة وغير كافية لتحديد زمنها ونسبتها الى ذلك العصر باطمئنان تام • غير أنه يمكننا القول بأن التقاليد الفنية الساسانية والبيزنطية السابقة على الاسلام هي التي كانت متبعة في صناعة الخزف في أوائل العصـــر الاسلامي • وقد وصلتنا أمثلة تؤيد ذلك اكتشفت في بعض المدن الاسلامية مثل : المدائن والحيرة وواسط

فى عصور قديمة جدا اذ عثر على رقيـــم بالخـط المسماري محفوظ الان في المتحف البريطاني (رقمه ١٢٠٩٦٠) اعتبره العالم جورج سارتون (G. Sarton) أقدم سجل معروف حتى الان عن وصفات عمليـــة التزجيج وكيفية صنعه مع العلم أن الوثائق المماثلة لم تظهر الا بعد مرور نحو ألف عام من تاريخ هذا النص حيث نجد فيه شرحا لنوع من التزجيج كان يتم بخليط من النحاس والرصاص ويستعمل للاواني الفخارية • (تاريخ العالم : ترجمة لفيف من العلماء القاهرة (١٩٥٧) ج١ ص ١٨٢ـ١٨٥) •

(٩) الدكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام القاهرة (١٩٤٨) ص ٢٦١ـ٢٦٣ •

(١٠) الدكتور زكي محمد حسن : الفن الاسلامي في مصر ، القاهرة (١٩٣٥) ج١ ص١٠٥ •

في العراق ، وبعلبك في سوريا ، والفسطاط بمصر ، وسوسة في ايران[١١] • ففي أطلال مدينة واسط[١٢] عثر على مجموعة نفيسة من خزف العصور الاسلامية ظهر بينها نوع مصنوع من طينة خشنة ذات لون بني أو أخضر فاتح تزينه زخارف نائتة تحت تزجيج أخضر أو أزرق تبدو عليه تأثيرات الصناعة الساسانية كما عثر على نوع آخر مصنوع من طينة صفراء ذات طلاء زجاجي أبيض عليه حزوز سمراء أو خضراء أو زرقاء وهذا مما يعد أولى المحاولات التي سعى اليها الخزاف المسلم نحو استعمال الالوانفي التزجيج غير اللون الاخضر المعروف من قبل ، وقد حقق بعض النجاح ولكنه لم يتقن تلك الالوان اتقانا محسوسا الا في عصر سامراء[١٣] •

خزف سامراء

سارت صناعة الخزف في العصر العباسي الاول على النهج المتبع في العصر الاموي • فقد استمر استعمال المصنوعات الخزفية بانواعها المختلفة التي كانت معروفة قبل الاسلام • ويبدو ان هذه الصناعة لاقت تشجيعا لكثرة اقبال الناس عليها مما أدى الى ازدهارها وظهور مراكز فنية اشتهرت بالخزف وبرز فيها صناع أتقنوا عملهم • ويمكننا أن نلمس من كلام اليعقوبي المار الذكر حول استقدام الخليفة المعتصم خزافين من مدينة البصرة والكوفة[١٤] مما يدل دلالة واضحة على ازدهار صناعة الخزف في هاتين المدينتين •

وفي العصر العباسي الثاني عندما بنيت سامراء انتقلت اليها صناعة الخزف مع جملة ما نقل من الصناعات الاخرى ، وأخذ الخزافون المسلمون يتسابقون في ابداع المصنوعات الجيدة وابتكار الانواع المختلفة منها • فقد اكتشفت خلال الحفريات التي أجريت في أطلال سامراء والتي قامت على أسس علمية سليمة قطع كثيرة من الخزف الذي يرجع تاريخه الى الفترة الزمنية التي سكنت فيها هذه المدينة وهي ما بين سنة ٢٢١-٢٧٢ هجرية (٧٣٦-٨٨٣ ميلادية) • ورغم ان الغالبية العظمى من الخزف المكتشف يمثل أجزاء أو كسرات من آنية استغني عنها بعد تحطمها الا ان قليلا منها عثر عليه وهو بحالة سليمة ، ومع ذلك فهو متنوع تنوعا كثيرا من حيث الاشكال والالوان ووجوه الاستعمال[١٥] •

---

(١١) الدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق:فخار العراق وخزفه فى العصر العباسي ، سومر م ٢٠ (١٩٦٤) ص١٠٣ •

(١٢) أسسها الحجاج بن يوسف النقفي عامل الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان فيما بين سنة ٨٣-٨٦ هجرية (٧٠٣-٧٠٦م) • وقد بقيت هذه المدينة عامرة حتى حلول القرن العاشر الهجري(١٦م) حيث اخذت بالتدهور تدريجيا حينما بدأ نهر دجلة يغير مجراه ، حتى اذا ما أشرف القرن الحادي عشر الهجري (١٧م) على الانتهاء هجرها سكانها فاصبحت خرابا • وقد نقبت مديرية الاثار العامة في أطلال هذه المدينة في سنة (١٩٣٦) واستمرت التنقيبات فيها لفترات متقطعة حتى سنة (١٩٤٢) حيث أسفرت عن كشف أبنية مهمة وكميات كبيرة من الخزف والفخار وغيرذلك من اللقى الاثرية التي تعود الى عصورمتعددة (الاستاذ فؤاد سفر : واسط ، القاهرة (١٩٥٢) ص ١-٤ وص ٤٢-٤٨) •

(١٣) الاستاذ فؤاد سفر : واسط ، القاهرة (١٩٥٢) ص ٤٣ •

(١٤) اليعقوبي : البلدان ص ٢٩ • (أنظر هامش ٢) •

(١٥) مديرية الاثار العامة : حفريات سامراء ج٢ ص٩ •

أمتازت المصنوعات الخزفية المتنوعة المكتشفة في سامراء بخصائص عديدة[١٦] ويمكننا تلخيصها فيما يأتي :

١ ـ الطينة (Clay) : اذا أمعنا النظـــر في نوعية الطينة التي صنع منها خزف سامراء نجد فيها اختلافا عن الطينة التي صنع منها الخزف في المراكز الفنية الاسلامية الاخرى ، فخزف سامراء مصنوع من طينة ناعمة الملمس ، برتقالية اللون ، متماسكة الاجزاء ، وليست هشة • ومن الجدير بالذكر هنا أن عدة قطع من الخزف الصيني قـد اكتشفت في سامراء كذلك وهي ذات طينة تختلف عن طينة خزف سامراء ، فهي رمادية اللونفي الغالب واحيانا ذاتلون أسمر أو لون مائل الى الاخضر أو مائل الى الابيض • وهذه القطع تدل بلا شك على انها مستوردة مـــن بلاد الصين •

٢ ـ الالوان : استعملت الوان متنوعة عديدة سواء كانت بصورة منفردة في القطعـة الواحـــدة (Monochrome) ، أو بصورة متعـــددة (Polychrome) والالوان الشائعة الاستعمال هي : الازرق (Blue) والاخضر (Green) والازرق المائل الى الخضرة (Greenish Blue) الى جانب اللون البني الغامق ((Dark Brown) الذي وجد على بعض القطع النادرة • ان هذه الالوان غالبا ما استعملت بصورة منفردة على الجرار والازيار (جمع زير) الكبيرة الحجم (شكل ١ وشكل ٢) أما الصحون والاواني الصغيرة فكانت متعددة الالوان في الغالب ساد فيها اللون الابيضالحليبي (Cream) والاخضر ، والازرق ، واللازوردي (Violet) والاصفر ، والبني ، والاحمر • (الاشكال ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٢) •

٣ ـ النقوش (The Designs) ان توزيع الالوان على سطح الانية قد ولد نقوشـا متنوعة • فقد زينت بعض القطع بنقاط او بقع متناثرة (Splached) موزعة توزيعا منتظما أو غير منتظم (شكل ٣) • وهناك ايضا قطع زينت بخطوط أو أشرطـة (Mottled) سواء كانت مستقيمة أو منحنية أو منكسرة • (شكل ٤ وشكل ٥) كما كانت الخطوط الدقيقة أو العريضة تؤلف أشكالا هندسية أو عناصر نباتية مختلفة • ومن القطع ما كانت مزينة برسوم طيور وحيوانات كذلك (شكل ٦) • واستعملت الكتابة العربية على بعض القطع ايضا ، كما استعملت نقوش تشبه الكتابة العربية كذلك • (شكل ٧ وشكل ١٣) •

أما عمل الزخارف فكان يتم وفق اساليب متنوعة حيث كانت بعض القطع مزينة بزخارف نائتة أو بارزة (Decoration in Relief) (شكل ١) •ومنها ما كانت زخارفهـــا محفورة حفرا بسيطا أي محززة (Incised) (شكل ٨) ، ثم نوع اخر زخافه محفورة حفرا عميقا (Engraved) (شكل ١)•

٤ ـ الخزف ذو البريق المعدني (Lustre Pottery)

لقد حقق الخزاف المسلم نصرا كبيرا بابتكاره هـذا النوع من الخزف في تلك الفترة التي ازدهرت فيها مدينة سامراء • وكانت الامثلة التي عثر عليها متميزة

---

(١٦) المرجع السابق ص ٨ـ١١ •

بلونها الارجواني او البني وزخارفها البراقة ذات اللون الذهبي والفضي والتي تتألف في الغالب من عناصر نباتية • (شكل ٧ وشكل ٩ وشكل ١٠) •

أما انواع خزف سامراء فهي عديدة أبرزها :

النوع الاول

ان أبسط انواع الخزف المكتشف في سامراء مزجج بلون واحد هو الازرق ، أو الاخضر • وهو نوع كان سائداً في العصر الساساني • ويتمثل هذا النوع في عدد من الجرار والاواني الكبيرة الحجم (شكل ١ وشكل ٢) ، حيث كان بعضها مزينا بزخارف بارزة قوامها أشرطة وأغصان نباتية مورقة صنعت بطريقة الباربوتين (Barbotine) وهي عمل زخارف من نفس مادة التحفة المصنوعة تضاف على سطح تلك المصنوعات بحيث تظهر بصورة بارزة ثم يجري طلاؤها بالطبقة الزجاجية بعد ذلك • والى جانب تلك التحف الكبيرة عثر على مصنوعات خزفية صغيرة كالصحون والاكواب والأنبة المتنوعة والتي كانت مزينة بزخارف ذات أشكال هندسية أو نباتية محورة تذكرنا بما كان معروفا في العصرين الفرثي والساساني[١٧] •

النوع الثاني

لفت انتباه الخزاف المسلم تلك القشرة (Slip) الرقيقة البيضاء التي تكسو الآنية مما جعله يفكر بزخرفتها ، فقام يعمل حزوزاً أو خدوشاً على سطحها بحيث ظهرت من خلالها الطينة الاصلية التي عملت منها الآنية ، وتتم هذه العملية قبل الحرق الاول للانية • وقد أطلق اصطلاح (كرافيتو Graffito) على هذه الطريقة في صنع الزخرفة (شكل ٨) • وسار الخزاف المسلم في طريق تطوير هذا النوع من الزخرفة فانخذ منها أشكالا هندسية أو عناصر نباتية واستعملت معها الالوان المختلفة على شكل بقع أو تعريقات صفراء وخضراء وارجوانية ، وفي الغالب كانت ترتب تلك الزخارف المحززة والالوان داخل مناطق هندسية منتظمة على دوائر كاملة أو ناقصة أو متحدة مع بعضها ، وأشكال معينية ، وأشكال متقاطعة ، حيث شغلت هذه المناطق بتفريعات نباتية مختلفة[١٨] •

النوع الثالث

سارت صناعة الخزف في طريق التطور ففام الخزاف المسلم برسم الزخارف فوق الطبقة الزجاجية باللونين الازرق والاخضر ، وكان قوام تلك الزخارف أشكالاً هندسية وعناصر نباتية وكتابات عربية[١٩] معظمها بالخط الكوفي تنم عن اسماء صناع[٢٠] كانت لهم شهرة بهذه الصناعة في الغالب[٢١] • وفي هذا

---

(١٧) ديماند : الفنون الاسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مصر (١٩٥٨) ص١٦٦ـ١٦٧ •

(١٨) ديماند : المرجع السابق ص ١٦٨ـ١٧٠ •

(١٩) ديماند : المرجع السابق ص ١٧٩ •

(٢٠)أطلق على صانع الخزف وبائعه اسم الخزاف ، كما سمي أيضا بالدهان وهو الذي يطلي الانية بالدهان وقد يزخرف ويصور كذلك • وقد وصلت الينا تحف تحمل اسم (مسلم ابن الدهان) تعود الى العصر الفاطمي (الدكتور حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ، القاهرة (١٩٦٦) ج٢ ص ٥١٧ـ٥١٩) ويفضل بعض الباحثين اطلاق كلمة « الدهان » على الطلاء الزجاجي الذي يغشي الانية الخزفية •

(٢١) انظر الصورة المنشورة للقطع الخزفية التي تحمل كتابات في : مديرية الاثار العامة : حفريات سامراء ج٢ لوحة رقم ١٠ و ١١ •الدكتور

النوع ترسم الزخارف على الانية بعد تزجيجها ثم تعاد الانية فتوضع داخل الفرن مرة اخرى وفي درجة حرارة منخفضة تثبت الالوان[٢٢] • (شـــكل ١٢ وشكل ١٣) •

النوع الرابـع

ومن أنواع خزف سامراء نوع رسمت زخارفه تحت طبقة بيضاء شفافة رقيقة من الطلاء الزجاجي وذلك بلون واحد أو بعدة ألوان • وقوام الزخارف في هذا النوع هو أتكال هندسية منفردة، وتفريعات نباتية وأشرطة من الكتابة الكوفية وبعض الرســـوم للطيور والاشكال الادمية[٢٣] • (شكل ٣ وشكل ٤ وشكل ٥ وشكل ٦ وشكل ١٣) •

يتم رسم الزخارف في هذا النوع بعد الحرق الاول للفخار ، يستحسن ان تكون الانية ذات بطاقة بيضاء كي يظهر الرسم بالوانه واضحـــا • وتنتج الالوان هنا من أكاسيد تضاف اليهـا مادة صاهـــرة لتثبيتها ومادة تلطف اللون مثل الرمل (ثاني أوكسيد السيليكون) والزنك والقصدير • وينم صنع هـــذا النوع من الخزف بطريقتين رئيستين هما :

أولا : تحرق الانية بعد الانتهاء من زخرفتها في فرن درجة حرارته منخفضة كي تثبت الالـوان ثم تغطى بالطلاء الزجاجي بعد ذلك وتحرق مرة أخرى فيغشى التزجيج تلك الانية وتظهر الزخارف واضحة (حرق أول ـــ رسم الزخارف ـــ حرق ثانـــي لتثبيت الزخارف ـــ حرق ثالث للطلاء الزجاجي) •

ثانيا : ترسم الزخارف قبل الحرق الاول للانية ثم تغطى الانية بالطلاء الزجاجي بسرعة فائقة خوفا من تحلل الوان الزخارف تحته ثم تحرق الانيـة (تشكل الانية وترسم الزخارف عليها هنا تحرق فتصلب ويثبت الرسم ـــ تغطي بالطلاء الزجاجي، ثم تحرق لتثبيت الطلاء الزجاجي)[٢٤] •

الألوان

يجدر بنا هنا ان نقف قليلا عند الالوان العديدة التي زين بها خزف سامراء والتي تدل على سعة اطلاع الخزاف المسلم وعلمه بتلك الاكاســـيد التي يتـــم بواسطتها تلوين الطبقة الزجاجية للانية • واهـــم الاكاسيد المستعملة هي :[٢٥]

١ ـ أوكسيد النحاس Copper Oxide

وهو نوعان : نحاسيك ، ونحاسوز •

النوع الاول : يستخدم كثيرا في الخزف ولونه أسود • وهو يعطي درجات متعددة من اللون الاخضر في الطلاء الزجاجي أو في البطانة الطينية • وأحيانا يعطي درجات من الازرق أو الفيروزي (التركواز Turquoise) تبعا للمواد الصاهرة (Fluxes) التي تدخل في التزجيج لتصهر المواد المكونة له ،

زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٦٧ • كما ذكر الاســتاذ ســره بعض الكلمات العربية فى كتاب Sarre :Die Keramik von Samarra, p. 81-86. Tafal XII, XIV, XVII.

(٢٢) عبدالغني النبوي الشال : الخـــزف ومصطلحاته الفنية ، دار المعارف بمصر ص٤٧ •

(٢٣) ديماند : المرجع السابق ص١٧١ •

(٢٤) عبدالغني الشال : المرجع السابق ص٤٦ ـ ٧٤ •

(٢٥) المرجع السابق ص ٢٨ـ٣٠ ، ٣٢ـ٣٦ •

Farajollah Bazl : Contemporary Techniques. In Pope: A Survey of Persian Art, Vol. IV, p. 1704.

وأحيانا تدخل في خلط مواد الاجسام نفسها • وتحل كاربونات النحاس محل الاوكسيد أحيانا ولونها في حالتها الطبيعية أخضر ، ووجود هذا الاوكسيد مع البوراكس (Borax) او الرصاص من شأنه أن يعطي اللون الاخضر الزاهي ، ووجوده مع القلويات (Alkali) يعطي اللون الفيروزي الجميل •

أما النوع الثاني وهو النحاسوز فيفضل استخدامه في جو الحرق الاختزالي (Reduction) حيث يعطي اللون الاحمر النحاسي[٢٦] •

٢ ـ أوكسيد الحديد Iron Oxide

وهو أهم الاكاسيد المستعملة في الخزف ويدخل في الطلاء الزجاجي معاكاسيد أخرى ليعطي درجات لونية متعددة منها الاصفر والبرتقالي والاحمر والبني والاسود •

وهذا الاوكسيد على نوعين حسب ما فيه من أوكسجين هما : الحديديك ، والحديدوز • وهذا النوع الثاني يعطي في الجو الاختزالي عند الحرق اللونين الاخضر والازرق بدلا من اللونين الاحمر والبني وذلك في درجات الحرارة العالية[٢٧] •

٣ ـ أوكسيد المنغنيز Manganese Oxide

ان هذا الاوكسيد هو مادة ملونة في الطينات وفي الطلاء الزجاجي أيضا ، فاذا خلط مع الحديد بالنسب التالية فانه يكون اللون الاسود في الطلاء الزجاجي : ١٠٪ منغنيز + ٥٪حديد مضافاً الىمجموع التركيب الزجاجي • وأهم الالوان التي يدخل في تكوينها على الطلاء الزجاجي هي : البني والقرنفلي والبنفسجي تبعا للمواد الصاهرة المستعملة في التزجيج ومايضاف من أكاسيد أخرى • ووجود هذا الاوكسيد مع أوكسيد الكوبالت (Cobalt) يلون الطلاء لونا بنفسجيا في وجود البوتاس (Potash) ، أما وجوده مع الحديد فيكسب الطلاء لونا أسودا في وجود الرصاص[٢٨] •

٤ ـ أوكسيد القصدير Tin Oxide

وهو على نوعين : قصديريك ، وقصديروز • وأوكسيد القصديريكهو المستخدمفي أعمالالخزف كثيرا حيث يسبب العتمة في الطلاء الزجاجي الابيض• ويضاف اليه بعض الاكاسيد الاخرى ليعطي ألوانا متعددة[٢٩] •

٥ ـ أوكسيد الكوبالت Cobalt Oxide

وهو أسود اللون ويتحمل درجات حرارة عالية ويعطي في الطلاء الزجاجي أو في البطانة الطينية الملونة لونا أزرقا ، واذا أضيف الكروميوم له يعطي لونا أزرقا به خضرة ، أما مع المنغنيز فيعطي اللون البنفسجي • ان استخدامه بنسب بسيطة من ١٪ من تركيب الطلاء الزجاجي العام يعطي لونا أزرقا فاتحا وكلما زادت النسبة زادت قتامة اللون الازرق[٣٠]•

٦ ـ أوكسيد الفضة Silver Oxide

باضافة هذا الاوكسيد الى طبقة الزجاج يعطيها لونا فضيا عند الاختزال • وأملاح الفضة والذهب

---

(٢٦) عبدالغني الشال : المرجع السابق ص ٢٨–٢٩ •

(٢٧) عبدالغني الشال : المرجع السابق ص٢٩•

(٢٨) عبدالغني الشال : المرجع السابق ص٣٠•

(٢٩) عبدالغني الشال: المرجع السابق ص٣٠

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٨ •

تعطي اللون القرنفلي والاصفر في درجات حـرارة منخفضة(٣١) .

٧ ـ أوكسيد الرصاص Lead Oxide

ويستخدم كمادة صاهرة . وصوره مختلفة منها:

أ ـ أوكسيد الرصاص الاحمر (السلاقون النقي) .

ب ـ أوكسيد الرصاص الاصفر (المرتـك الذهبي) .

ج ـ كربونات الرصاص البيضاء (أبيض الشيروز) .

والطلاءات الرصاصية تساعد في قوة الالوان ، وهي تنتج مع أوكسيد النحاس طلاء أخضرا ، ومع الكوبالت تعطي لونا أزرقا ، ومع المنغنيز تعطي لونا بنفسجيا بدرجات متعددة ، ومع الحديد تعطي لونا بنيا ، ومع الكروم تعطي لونا اخضرا (وينتج الاحمر في درجة حرارة منخفضة)(٣٢) .

٨ ـ القاعـدة

وهي المواد الصاهرة المختلفة . وحينما نقول ان الطلاء رصاصي أي أن المواد الصاهرة فيه هي أكاسيد أو كاربونات الرصاص ، أو ان الطلاء قلوى أي ان أساس المواد الصاهرة هي الصودا أو البوتاس، أو أن الطلاء بوراكسي أي أن البوراكس هو العنصر الصاهر في التزجيج(٣٣) .

٩ـ ـالقلويات

وهي عنصر صاهر تكسب الطلاء الزجاجـي لمعانا . وكاربونات الصودا والبوتاس والبوراكس اذا استخدمت كمواد صاهرة في التزجيج فانها تأتي بنتائج طيبة وخاصة للحصول على اللون الفيروزي عندما يضاف أوكسيد النحاسيك بنسبة قد لا تتعدى ٣٪ من التركيب العام للطلاء . واللون الفيروزي المائل الى الزرقة يأتي نتيجـة لزيادة البوتاس على الصودا واللون الفيروزي المائل الى الخضرة يأتي نتيجة لزيادة الصودا(٣٤) .

النوع الخامس

لابد لنا ونحن بصدد الكلام عن أنواع خزف سامراء أن نشير الى بلاد الصين وشهرتها الفائقـة بصناعة الخزف(٣٥) ،خاصة وان الاقبال كان شديدا على اقتناء المصنوعات الخزفية الصينية التي أصبحت لها مكانة سامية لدى الخلفاء والامراء والاغنياء حيث عثر على كثير من كسر الخزف الصيني في اطلال المدن الاسلامية المختلفة وبصورة خاصة في سـامراء التي تناولها هذا البحث .

والواقع ان شهرة بلاد الصين بالخزف جاءت نتيجة تفوقهم واجادتهم لهذه الصناعة ، حتى اصبحت التحف الخزفية الصينية يتبارى باهدائها ، وخير دليل على ذلك ما أورده البيهقي في تاريخه حيث ذكر أن

---

(٣١) المرجع ص ٣٢ .
(٣٢) المرجع السابق ص ٣٥ـ٣٦
(٣٣) المرجع السابق ص ٣٣
(٣٤) المرجع السابق ص ٣٢ـ٣٣ .
(٣٥) اشتهرت بلاد الصين بانتاج التحـف الخزفية المتميزة بالجـودة والجمـال فانتشـرت المصنوعات الخزفية الصينية فى أماكن عديدة مـن العالم . وقد كان للصلات التجارية بين الصين والعالم الاسلامي أثر كبير في انتقال تلك المصنوعات الى شتى بقاع الدولة الاسلامية حتى عثر عليه في سامراء وفي مدن اسلامية متعددة وهذا مما شجع الصـناع المسلمين على تقليده .

والي خراسان علي بن عيسى أرسل هدية كبيرة الى الخليفة هرون الرشيد اشتملت على مواد كثيرة منها : « مائتا قطعة من الصين الفغفوري من الصحون والكؤوس وغيرها مما لم يشاهد مثلها في قصر أي ملك ، وألفا قطعة أخرى من الصيني من الاواني الكبيرة والكاسات الواسعة وزهريات صينية كبيرة وصغيرة ، وأنواع أخرى »[٣٦] .

والى جانب ذلك فان المراجع العربية تذكر باعجاب خزف بلاد الصين . فقد ذكر الرحالة العربي سليمان التاجر الذي زار تلك البلاد في حوالي سنة ٢٣٧ هجرية (٨٥١ م) أن أهل الصين « لهم الغضار[٣٧] الجيد ويعمل منه أقداح في رقة القوارير يرى ضوء الماء فيه »[٣٨] . وذكر ابن الفقيه في كتابه (البلدان) ان الله عز وجل « خص أهل الصين بالصناعات وأعطاهم مالم يعط أحدا ، فلهم الحرير الصيني ، والغضار ، والسرج »[٣٩] . كما أشار الرحالة المغربي ابن بطوطة الى خزف بلاد الصين وقال بأنه « أبدع أنواع الغضار »[٤٠]

واذا تحرى الباحث عن أسباب اقبال الناس على اقتناء التحف الصينية وشهرتها الواسعة فانه سيدرك ذلك حينما يقف على طريقة صناعتها والمواد المستعملة فيها .

ان المراجع العربية لم تهمل هذه الناحية رغم أنها اشارت الى ذلك بايجاز . فقد ذكر الحموي والقزويني ان خزف الصين يصنع من طينة خاصة صلبة تحتمل الحرارة الشديدة ويخمر قبل عمله لمدة عشرة أيام أو يزيد[٤١] . وذكر الرحالة ابن بطوطة طريقة عمل الخزف الصيني فقال بانه يصنع من « تراب جبال هناك[٤٢] توقد فيه النار كالفحم . ويضيفون اليه الحجارة عندهم ويوقدون النار عليها ثلاثة أيام ثم يصبون عليها الماء فيعود الجميع ترابا ثم يخمرونه ، فالجيد منه ماخمر شهرا كاملا ولايزاد على ذلك ، ودون ذلك ماخمر عشرة أيام »[٤٣] .

ومن ذلك كله نستنتج أن خزف بلاد الصين كان يصنع من طينة لم تتوفر في غير بلاد الصين ، وأنها كانت تخمر بطريقة خاصة لفترة طويلة ،

---

(٣٦) تاريخ البيهقي : ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت ، القاهرة (١٩٥٦) ص ٤٤٣ .

(٣٧) ذكر ابن منظور ان كلمة الغضار تعني الطين الحر ومنه يتخذ الخزف الذي يسمى الغضار . (لسان العرب ، بيروت (١٩٥٦) المجلد الخامس ص ٢٣) .

(٣٨) سليمان التاجر : سلسلة التواريخ ، باريس (١٨١١ م) ج٢ ص ٣٥ . وردت رحلة سليمان ضمن هذا الكتاب الذي أضيف اليه ذيل كتبه أبو زيد الحسن السيرافي (٣٠٩ هـ – ٩٦١م) ونشره المستشرق الفرنسي رينو (M. Reinaud) في سنة ١٨١١م، ثم ترجمها الى الفرنسية في سنة ١٨٤٥ ونشر النص العربي مع الترجمة في مجلد واحد .

(٣٩) ابن الفقيه : البلدان ، ليدن (١٣٠٢) ص ٢٥١ .

(٤٠) رحلة ابن بطوطة ، بيروت (١٩٦٨) ص ٦١٦–٦١٧ .

(٤١) الحموي : معجم البلدان ، مصر (١٩٠٦) المجلد الخامس ص ٤١٧ . القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت (١٩٦٠) ص ٥٥ .

(٤٢) يطلق لفظ كاولين (Kaoline) على نوع الطينة التي يصنع منها الخزف الصيني ، وهذه الكلمة تعني باللغة الصينية « الجبل العالي » فربما يكون ذلك المصدر الاصلي الاول الذي أخذت منه تلك الطينة وصنع منها الخزف الصيني (عبدالغني النسال : المرجع السابق ص١٧) .

(٤٣) رحلة ابن بطوطة ص ٦١٦–٦١٧ .

كما أن هذه الطينة تتحمل درجات حرارة عالية[٤٤]، وهذا ما يجعل الفرق واضحا بين خزف الصين وخزف البلدان الاخرى •

ان الميزات العديدة التي امتاز بها خزف الصين وجودته وشهرته قد دفعت الخزاف المسلم الى بذل جهود كبيرة من أجل انتاج خزف مشابه له ، ولكن رغم نجاحه في صنع تحف تضاهي التحف الصينية كما سنرى ، الا ان الامر الذي يجب ان لا يغيب عن بالنا الا وهو أن الطينة التي صنعت منها تلك التحف تختلف عن الطينة التي اختصت بها بلاد الصين والتي تزيد من قوة الانية ومتانتها[٤٥] •

خلال الحفريات الاثرية في أطلال مدينة سامراء ثم اكتشاف العديد من القطع الخزفية المصنوعة بوحي من الخزف الصيني يمكننا تمييز نوعين بارزين منها هما :

أ ـ الخزف المصنوع تقليدا لخزف أسرة تانج (Tang)

ب ـ الخزف المصنوع تقليدا للبورسلين الصيني (Porcelain)

أ ـ الخزف المصنوع تقليدا لخزف اسرة تانج (Tang)

حكمت هذه الاسرة بلاد الصين بين سنة (٦١٨ ـ ٩٠٦ ميلادية) • وقد ظهر خلال حكم هذه الاسرة نوع من الخزف ذو تزجيج متعدد الالوان ، حيث زينت الانية بأشرطة متعددة ملونة متجاورة او بقع متناثرة ذات الوان مختلفة ، فهو اما مخطط أو مقلم (Mottled) ، أو مبقع (Splached)[٤٦] • (الاشكال ٣ ، ٤ ، ٥) •

يتم صنع هذا النوع من الخزف على الوجه الاتي :

١ ـ تصنع الانية أو التحف من الطين العادى وبالشكل المطلوب •

٢ ـ تغطى بعد تشكيلها بطبقة أو قشرة من الطين النقي أطلق عليها الصناع في مصر أسم البطانة (Slip) .

٣ ـ تطلى بعد ذلك بطلاء زجاجي ملون بألوان شتى من أبرزها : الاخضر ، والبني ، والارجواني،والاصفر •

٤ ـ اذا أراد الخزاف زخرفة مصنوعاته فانه يقوم بعمل الزخارف والنقوش بواسطة حزوز يتم عملها في سطح الانية والتحف قبل عملية التزجيج[٤٧] •

---

(٤٤) ان قلة المواد الصاهرة في هذه الطينة الصينية يجعلها تحتاج الى درجات حرارة عالية جدا للانصهار لذلك تعتبر من اكثر أنواع الطين مقاومة للحرارة (عبدالغني الشال : المرجع السابق ص١٨) •

(٤٥) ذكر الحموي عند كلامه عن احدى المدن الهندية أنه كان يصنع فيها خزف قلد به الخزف الصيني الا أنه أقل صلابة منه • كما ذكر بان ما هو معمول في بلاد فارس من خزف تقليدا للخزف الصيني يتم تحضيره من الحصى والكلس القلعي والزجاج ثم يعجن على البوائن وينفخ بالماسك كما ينفخ الزجاج مثل الجامات وغيرها من الاواني • (معجم البلدان م ٥ ص ٤١٧) •

(٤٦) الدكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٦١ • الدكتور محمد عبدالعزيز مرزوق: فخار العراق وخزفه في العصر الاسلامي ، مجلة سومر م ٢٠ (١٩٦٤) ص ١٠٦ •

(٤٧) الدكتور عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ص ١٠٦ •

أتقن الخزاف المسلم تقليد هذا النوع من الخزف الصيني حتى أصبح من الصعب أحيانا تمييز القطعة الصينية الاصلية من القطعة المصنوعة تقليدا لها • وكانت الالوان المستعملة فيه كثيرة وجميلة ساد فيها الاسمر والاخضر والاصفر • أما الزخارف التي تزين هذا النوع فهي محززة تحت التزجيج وقوامها أشكال هندسية وعناصر نباتية مختلفة[٤٨] • (شكل ٨)

ب ـ الخزف المصنوع تقليدا للبورسلين
(Porcelain)

البورسلين هو من أنواع الخزف الذي شاع استعماله في بلاد الصين في العصور الوسطى واكتشف في انحاء عديدة من العالم • ويصنع هذا النوع من الخزف من طينة خاصة تمتاز بأنها تتحمل درجة مرتفعة جدا من الحرارة ، ومن هنا كان له رنين كرنين الاواني المعدنية اذا ما نقر عليه • ومن أبرز خصائص البورسلين الصيني هو لونه الابيض الجميل وخلوه من الزخارف والنقوش •

ان تقليد هذا الخزف دفع الخزاف المسلم نحو بذل جهد أكبر في سبيل ذلك، فقد قام بعدة تجارب لكي يتوصل الى عمل السطح الابيض غير الشفاف ، اذ أنه كان يستخدم التزجيج الشفاف الذي يكشف عن لون الطينة المصنوعة منها الانية وهو لون غير جميل • والتزجيج غير الشفاف ينتج بعد اضافة أوكسيد القصدير ، الذى سبق ذكره عند الكلام عن الالوان ، والذي كان عاملا مهما في القضاء على الشفافية • ان اهتداء الخزاف المسلم الى ذلك كان له أثر كبير في توصله الى تقليد البورسلين بصورة متقنة •

وقد آثر الخزاف المسلم بعد توصله الى التزجيج الابيض أن يطور هذا النوع من الخزف ، فعمد الى تزيين ذلك السطح الابيض للمصنوعات بزخارف ونقوش ذات الوان شتى مثل الاشكال الهندسية والعناصر النباتية والكتابات العربية ، مما اضفى على تلك المصنوعات الخزفية جمالا ورونقا لم يكن متوفرا في السابق • (شكل ١٢،١٣) وقد كشفت لنا حفائر سامراء أمثلة عديدة من هذا النوع ، من بينها قطع تحمل كتابات عربية تنم عن أسماء صناع يبدو أنهم أحرزوا شهرة في هذه الصناعة مثل « عمل الاحمر » و « عمل كثير بن عبدالله » وهي أسماء لصناع لا نعرف عن أخبارهم شيئا[٤٩] •

النوع السادس

في عصر سامراء ابتكر نوع جديد من الخزف أطلق عليه « الخزف ذو البريق المعدني » (Lustre Pottery) كانت له أهمية كبيرة ، حيث شاع استعماله في العراق خاصة والبلاد الاسلامية الاخرى بصورة عامة ، وقد صنعت من هذا الخزف الاواني والتحف المختلفة التي اتخذها الخلفاء والامراء

---

(٤٨) الدكتور زكي محمد حسن : المرجع السابق ص ٢٧٠ •
(٤٩) الدكتور عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ص ١٠٦ـ١٠٧ •
Herzfeld, Lam, Sarre: Ibid. Band II, p. 81-85.

بدلا من الاواني المصنوعة من الذهب والفضة التي ينهى الدين الاسلامي عن استعمالها في الطعام والشراب •

اكتشفت خلال التنقيات التي أجريت في أطلال سامراء أمثلة عديدة من الخزف ذي البريق المعدني غير أن معظمها عثر عليه بشكل اجزاء أو كسر من أواني مختلفة تحمل زخارف نباتية وهندسية[٥٠] • وتعتبر هذه الامثلة المكتشفة من أبدع القطع الخزفية ذات البريق المعدني وهي تفوق بجمالها وبريقها كل ما عرفه العالم الاسلامي من هذا الخزف بعد سامراء[٥١] • (شكل ٩ ، ١٠ ، ١١)

كان لاكتشاف الخزف ذي البريق المعدني في سامراء أهمية كبيرة اذ يعتبر أول خزف اسلامي خالص ابتكره المسلمون يمكننا تحديد تاريخ ظهوره في تلك الفترة الزمنية القصيرة التي عاشتها سامراء في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) •

يرى بعض الباحثين ان ابتكار هذا النوع قد حصل نتيجة لتطور صناعة الخزف الاسلامي وان الخزاف المسلم استمد الوحي في ذلك من التحف المستوردة من بلاد الشرق الاقصى[٥٢] • واذا كان للتطور تأثير مهم في ذلك فان تأثير الدين الاسلامي أكثر أهمية في نظر البعض الاخر من الباحثين[٥٣] ، ويمكننا ان نلمسه من خلال ناحيتين مهمتين :

الاولى : هي الحرص على جعل المصنوعات بصورة عامة ، متقنة، محققة لوظيفتها ، منفذة على أحسن وجه • وقد كانت الدولة الاسلامية تعنى بالصناعات وتطورها عن طريق تعيين موظف مكلف بالاشراف عليها أطلق عليه اسم « المحتسب » أو «صاحب الحسبة»[٥٤] الذي كانت مهمته ارشاد الصناع وحثهم على الاخلاص في العمل واتقانه[٥٥] ومن المرجح أن هذه الوظيفة لم تتحدد معالمها الا في نهاية القرن الثاني الهجري(٨ م) وذلك بعد ظهور المذاهب الفقهية وازدهار التجارة وتقدم الصناعة وظهور الحاجة الى مراقبة التجار والصناع ومختلف المتعاملين في الاسواق وغير ذلك[٥٦] • وهكذا في ظل نظام الحسبة هذا تقدمت صناعة الخزف ـ وغيره من الصناعات ـ وارتفع مستواها وبلغت درجة كبيرة من الاتقان[٥٧] •

والناحية الثانية تتمثل في محاربة الدين الاسلامي للاسراف والترف وكراهية استعمال الانية المصنوعة من الذهب والفضة التي كانت شائعة قبل الاسلام • فقد ورد في الاحاديث النبوية التي جرى تدوينها في

---

(٥٠) مديرية الاثار العامة : حفريات سامراء ج ٢ ص ١١ •

(٥١) الدكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٦٣ •

(٥٢) Lane : Early Islamic Pottery, p. 10.

(٥٣) الدكتور عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ص ١٠٨ •

(٥٤) نشر الدكتور عبدالعزيز الدوري مقالا بعنوان «نشوء الاصناف والحرف في الاسلام» في مجلة كلية الاداب (جامعة بغداد) العدد الاول (١٩٥٩) ص ١٣٣ـ١٦٩ • وقد تطرق فيه الى نشوء نظام الحسبة وتطوره ووظيفة المحتسب وأعماله •

(٥٥) الدكتور حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية ، القاهرة (١٩٦٦) ص ١٠٢٧ـ١٠٣٩ •

(٥٦) المرجع السابق ص ١٠٢٩ •

(٥٧) الدكتور عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ص ١٠٨ـ١٠٩ •

العصر العباسي الاول ما يدعو الى التقشف وينهى عن استعمال الانية الذهبية والفضية[٥٨] • ومن هـذه الاحاديث النبوية قول النبي (ص) : « لا تشربوا في اناء الذهب والفضة ... » وقوله (ص) أيضا :« من شرب في اناء من ذهب أو فضة فانما يجرجر في بطنه نارا من «جهنم»[٥٩] • وقد كان لهـذه الاحاديث النبوية أبعد الاثر في صناعة الخزف اذ جعلت الصناع يفكرون بايجاد طريقة تعطي للخزف بريقا كبريق الذهب والفضة ، وهكذا توصلوا الى ابتكار الخزف ذي البريق المعدني الذي امتزجت فيه دقة الصانع بعبقرية الفنان[٦٠] • ومما لا شك فيه ان كراهيـة استعمال الانية الذهبية والفضية لم تمنع صنعها منعا باتا ولكنها شجعت المسلمين على الاقبال على التحـف الخزفية ذات البريق المعدني •

ان انتاج تلك التحف الرائعة من الخزف ذي البريق المعدني يمر بعدة مراحـل يمكننا تلخيصهـا فيما يلي :

١ ـ تصنع الانية من الطين حسب الاشكال المطوبة •

٢ ـ يغطى هذا الطين بطبقة رقيقة أخرى من طين أنقى منه وأحسن نوعا ، وهي الطبقة التي تسمى البطانة (Slip) •

٣ ـ توضع الانية في الفرن لكي تشوى وتصبح فخارا •

٤ ـ تخرج من الفرن ويقوم الخزاف بتسوية سطحها •

٥ ـ بعد تسويتها يتم طلاؤها بطبقة زجاجية معتمة •

٦ ـ تعـاد الى الفرن مرة ثانيـة لتثبيت تلـك الطبقة الزجاجية عليها •

٧ ـ تخرج من الفرن لكي تزين بالزخارف والنقوش المطلوبة التي تتم عادة بواسطة مزيج من مواد مختلفة قوامها أوكسيد الفضة والكبريت ، أو كلوريد الذهب السائل ، وقد تستعمل أكاسيد أخرى عند الحاجة • وتتم عملية مزج هذه المواد مع بعضهـا باضافة التراب الحديدي (Ochre) مع أحد الحوامض (كالخل مثلا) لكي تتفاعل هذه المـواد مع بعضها مكونة محلولا بواسطته ترسم تلك الزخارف والنقوش المطلوبة •

٨ ـ بعد رسم الزخارف والنقوش بهـذا المحلول تعاد الانية الى الفرن للمرة الثالثة على أن

---

(٥٨) ذكرت كتب الحديث عددا من الاحاديث عن هذا الموضوع لا يتسع المجال لذكرها جميعا • ويكفي لمن يرغب الاطلاع عليها ان يراجـع كتاب (مفتاح كنوز السنة ، تأليف الدكتور أ•ي• فنسنك ـ وترجمة محمد فؤاد عبدالباقي ، مصر ، الطبعة الاول ١٩٣٤) حيث أورد حول تحريم آنية الذهب ماذكره كل من البخاري ومسلم وابن داود والترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد بن حنبل والطيالسي • كما أورد أحاديث أخرى حول تحريم آنية الفضـة ذكرها البخاري ومسلم وابن ماجة والدارمي وابي داود والنسائي وأحمد بن حنل والطيالسي) •

(٥٩) صحيح البخاري ، دار الخلافة العليـة ١٣١٥ هجرية ، الجزء السادس ، كتاب الاشـربة ص ٢٥١ كتاب الاطعمة ص ٢٠٧ • الجزء السابع ، كتاب اللباس ص ٤٤ـ٤٥ ، ص ٥١ •

صحيح مسلم ، مصر ، الطبعة الاولى ١٣٤٩هـ ١٩٣٠ ، الجزء الثالث عشر ، كتاب اللباس والزينة ص ٢٧ ، ٣٦ •

(٦٠) الدكتور عبدالعزيز مرزوق : المرجـع السابق ص ١١٠ •

تكون نار الفرن هادئه غير قوية، أو بعبارة أخرى أن يكون الدخان كثيرا والهواء قليلا[٦١] ، وذلك لان الفرن الشديد الحرارة يذيب المحلول المعدني الذي رسمت به الزخارف •

٩ ــ تبقى الانية داخل الفرن لفترة قصيرة ثم تخرج منه وحينئذ نرى عليها طبقة براقة متلئلئة لايمكن ادراكها باللمس والتي تتركها المحلول المعدني فوق سطح الإنية •

ان هذه العمليات المتعددة التي تتبع في صناعة الخزف ذي البريق المعدني تكسبه أهمية وتجعل ثمنه غالبا ، خاصة وان كل خطوة من خطوات العمل قد تؤدي الى تلف بعض المصنوعات لذلك ارتفعت تكاليف انتاجه ومن ثم ارتفع ثمنه بالنسبة الى أنواع الخزف الاخرى[٦٢] •

أما أشهر الموادالمستعملة في صناعة الخزف ذي البريق المعدني فهي الاكاسيد المعدنية التالية :ــ

١ ــ اوكسيد الفضة : ينتج اللون الاصفر الذهبي •

وتعطي أملاح أوكسيد الفضة اللون الفضي كذلك في عملية اختزال الطلاء الزجاجي •

٢ ــ كلوريد الذهب : ينتج اللون الذهبي

٣ ــ أوكسيد النحاس : وينتج اللون الاصفر، والاحمر النحاسي ، والبني •

العناية بالخزف ذي البريق المعدني

نتيجة للحفائر الاثرية التي أجريت في مواضع مختلفة من العالم الاسلامي مثل العراق ، وايران ، ومصر ، وشمال أفريقية ، والاندلس ظهرت قطع كثيرة من الخزف ذي البريق المعدني ، وحينئذ اتجه العلماء الى دراستها لمعرفة الموطن الاصلي الذي ولد فيه هذا النوع من الخزف • ومنذ سنة (١٩٠٧) وحتى سنة (١٩٣٤) وعلماء الاثار الاسلامية يطرحون آراء ونظريات متضاربة حول المكان الذي نشأت فيه هذه الصناعة وكل منهم يدعم رايه بالادلة والبراهين التي يراها صائبة •

والبحث في هذا النوع من الخزف يتطلب استعراض الاراء والنظريات التي تطرقت اليه ولو بصورة موجزة[٦٣] •

نشر العالم الفرنسي (Gaston Migeon) في سنة (١٩٠٧) رأيه في الموطن الاصلي للخزف ذي البريق المعدني حيث نسبه الى بلاد ايران ، فأيد رأيه عالم آخر هو فينير (Vignier) وذلك في سنة ١٩١٤ • وجاء بعد ذلك عالم ثالث في سنة (١٩٢٠) وهو بزارد (Pezard) فأيد الرأي السابق معتمدا على كثرة ما عثر من هذا النوع من الخزف في ايران وعلى معرفة ايران لصناعة الخزف منذ العصور القديمة لذلك يرى بأنها أقدر من غيرها

---

(٦١) يدعى ذلك بالجو الاختزالي (Reduction) حيث أن زيادة الدخان تؤدي الى امتلاء الفرن بالكاربون الذى يقوم بدوره باختزال الاوكسجين من الطبقة الزجاجية • (عبدالغني الشال : المرجع السابق ص ٥٨ ، ٥٩) •

(٦٢) الدكتور عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ص ١١٠ــ١١١ •

(٦٣) الدكتور عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ص ١١١ــ١١٢ • ديماند : المرجع السابق ص ١٧٥ــ١٧٦

Pope: The Ceramic Art in Islamic times, in Pope: A Survey of Persian Art, Vol. 4, p. 1490.

على تطوير صناعته وابتكار هذا النوع • وفي سنة (١٩٢٨) جاء عالم آخر وهو كوكلن (R. Koechlin) فأيد هذا الرأي واعتبر مدينة الري في ايران هي المكان الاول الذي شهد صناعة الخزف ذي البريق المعدني لاول مرة • والجدير بالذكر ان صناعة الخزف كانت معروفة في ايران منذ العصور السابقة على الاسلام واستمرت تلك الصناعة في فجر الاسلام • وقد عرفت ايران الخزف ذي البريق المعدني في العصور الاسلامية الاولى وتشهد بذلك الامثلة العديدة المكتشفة في أطلال المدن الايرانية ، وكانت بعض تلك القطع تحمل اسم صانعها ، وتدل أغلب تلك الاسماء على انهم صناع ايرانيون مما يرجح انها مصنوعة في ايران ولم تستورد من الخارج • واضافة الى ذلك عثر في أطلال مدينة ساوه على قطعتين تالفتين في الفرن[٦٤]، كما اكتشفت البعثة الفرنسية في مدينة السوس قطعا خزفية أخرى تالفة وبقايا فرن لشوي الفخار وحوامل أو مساند تستعمل في الافران بأن توضع عليها الانية عند احراقها في الفرن وكان بعضها عليه آثار المادة التي ينتج منها البريق المعدني • ان أصحاب النظرية القائلة بنسبة ابتداع البريق المعدني الى الايرانيين يحتجون بأن ايران كانت في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة (٨ ، ٩ م) قد قطعت شوطا بعيدا في طريق الحضارة الاسلامية وكانت لها صناعة خزفية زاهرة ، وان ماوجد في ايران من الخزف ذي البريق المعدني اكثر مما وجد في العراق ، فضلا عن أنه عثر عليه في مراكز فنية مختلفة ومتباعدة في ايران بنيما لم يوجد في العراق الا في سامراء[٦٥] •

والنظرية الثانية التي ظهرت بخصوص الموطن الاول للخزف ذي البريق المعدني تنسبه الى مصر • فقد نشر أحد العلماء وهو بتلر (Butler) رأيه في كتابه الخاص بالخزف الاسلامي في سنة (١٩٢٦) تضمن نسبة هذا النوع من الخزف الى مصر باعتبارها البلد الذي عرف فن التزجيج قبل غيره من البلدان ، اذ هي عريقة في صناعة الخزف وبالتالي قديرة على ابتكار هذا النوع[٦٦] • وفي سنة (١٩٢٨) جاء عالم آخر وهو مارتن (Martin) فأيد هذه النظرية واعتبر مصر هي مهد هذه الصناعة • ويبدو ان هذه النظرية لم تلق تأييدا كافيا من العلماء كما انها تفتقر الى الادلة والبراهين المقنعة • فصناعة الخزف المصري في العصر القبطي لم تكن زاهرة كما كانت صناعات النسيج والزجاج والحفر على الاخشاب مثلا • فضلا عن ان أقدم مانعرفه تماما عن الخزف ذي البريق

---

(٦٤) يقصد بالقطع التالفة (Wasters) تلك التي يصيبها التلف في الفرن أثناء عملية الحرق بسبب شدة حرارة الفرن أو عدم كفايتها ، أو بسبب التصاقها بعضها ببعض ، أو أي سبب آخر يؤدي الى تشوهها قبل اتمام صناعتها • والعثور على هذه القطع في مكان ما يدل بلاشك على انها مصنوعة فيه ، اذ من غير المحتمل أن يستخدمها الناس وينقلونها من مكان لاخر وليس من المعقول المتاجرة بها •

(٦٥) الدكتور زكي محمد حسن : المرجع السابق ص ٢٥٩–٢٦٠ • الفنون الايرانية ، القاهرة (١٩٤٦) ص ١٦٩–١٧٠ – ومما يجدر ذكره هنا أن الخزف ذي البريق المعدني لم يكتشف في مدينة سامراء فقط وانما عثر على قطع عديدة منه في مواقع اسلامية متعددة في العراق ، وهي محفوظة في مديرية الاثار العامة وقسم منها معروض في القاعات الاسلامية في المتحف العراقي •

(٦٦) A.J. Butler : Islamic Pottery. A study mainly historical, London (1926), p. 37-49.

المعدني في مصر يرجع الى العصر الطولوني في نهاية القرن الثالث الهجري (٩ م) ولا يختلف كثيرا عن الخزف ذي البريق المعدني المكتشف في سامراء وفي السوس وفي قلعة حماد ، وفي مدينة الزهـــراء • والواقع ان أقدم القطع الخزفية ذات البريق المعدني والمكتشفة في مصر تتضمن قطعا لايشك المرء في تبعيتها للنوع المنسوب الى سامراء مما يرجح كونها مستوردة من العراق • أما بعض القطع المكتشفة في أطـــلال الفسطاط والمتميزة بطينتها المائلة للاحمرار والملونة بلون واحد فزخارفها مشتقة من زخارف القطـــع الواردة من العراق(٦٧) •

أما النظرية الثالثةفيرى مؤيدوها بأن العراقهو الموطن الاول الذي نشأت فيه صناعة الخـــزف ذي البريق المعدني • ففي سنة (١٩٢٥) نشر الاستاذ سره (Sarre) كتابا خاصا عن خزف سامراء ، كان من ضمن الكتب التي نشرت عن نتائج حفريات البعثـة الالمانية في سامراء(٦٨) ، وفي هذا الكتاب اثبت هذا العالم الالماني رأيه في أن صناعة هذا النوع مـــن الخزف انمـا نشأت في العـراق وفي مدينة سامراء بالذات(٦٩) •

وفي سنة (١٩٣٤)دخل عالم الماني آخر الى هـذه المناقشات وهو الاستاذ كونل (Kühnel) الذي ايد رأي أستاذه سره وأخذ يدحض ويفند بأدلة قوية مقنعة آراء العلماء السابقين الذين نسبوا هـذا النوع من الخزف الى ايران ومصر • على أن كونل اختلف مع استاذه سره في تحديد المدينة التي شهدت مولد الخزف ذي البريق المعدني فقال بأنها بغـــداد وليست سامراء(٧٠) ، وذلك لعدم العثور في اطلال سامراء على بقايا أفران للخزف أو على قطع تالفة في الافران • أما مدينة بغداد فان المراجع التاريخية تشير الى أهميتها في صناعة الخزف مما يدل على انهـــا قد مارست انتاج هذا النوع من الخزف في عصر ازدهارها ويرى كونل أيضا بأن صناعة الخـــزف ذي البريق المعدني قد انتقلت من العراق الى مصر مع أحمد بن طولون الذي كان يعيش في العراق قبل ولايته على مصر وليس بعيدا أن يكون قد جاب معه من العراق أمثلة من تلك التحف الخزفية العراقية أو بصنـاع قاموا باحياء هذه الصناعة في مصر(٧١) •

ومما يؤيد هذه النظرية الاخيرة تلك التحف العديدة من الخزف ذي البريق المعدني التي عثر عليها في سامراء والتي تشهد على أزدهار صناعة هذا الخزف في العراق لما لها من ميزات وخصائص من أبرزهـــا رقتها وابداع الوانها وتلاؤم تلك الالوان مع بعضها وخاصة بين اللون الذهبي والارجواني والبرونزي ، اضافة الى جمال الزخارفوالنقوش• والىجانبذلك كله فان هذه التحف التي عثر عليها في سامراء تعود الى النصف الاول من القرن الثالث الهجري (التاســع الميلادي) بينما نرى أن التحف المكتشفة في ايران

---

(٦٧) الدكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٦٠

(٦٨) انظر هامش رقم (٤)

(٦٩) Sarre: Die Keramik Von Samarra,, p. 82.

(٧٠) Kühnel: Die 'Abbasidischen Luster Fayencen, Ars Islamica (1934) Vol. I, Part 2, p. 149-159.

(٧١) كارل جوهان لام : الخزف الفاطمي ، ترجمة عبدالرحمن زكي ، مجلة المقتطف ، المجلد ٩٠ (١٩٣٧) ج٥ ص ٥٧٤ •

ترجع في الغالب الى أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الهجري • واضافة الى ذلك فاننا نلاحظ اختلافا واضحا في الطينة التي صنعت منها ، والقطع القليلة المصنوعة من طينة تشبه طينة خزف سامراء تدل على انها مستوردة من العراق ولم تصنع محليا في ايران[٧٢] •

وهكذا استقر رأي العلماء على أن العراق هو الموطن الاول للخزف ذي البريق المعدني ، حيث ظهرت فيه صناعة هذا النوع من الخزف ابان ازدهار الحضارة العربية الاسلامية على ايدي العباسيين في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)[٧٣] •

مظاهر الخزف ذي البريق المعدني

يعتبر هذا النوع من الخزف العراقي المكتشف خلال حفريات سامراء أحسن ما وصلنا من هذا النوع من الخزف ذي البريق المعدني ، ويفوق جميع أنواع الخزف الاسلامي من هذا النوع من حيث جمال شكله وبهجة الوانه وزخافه الملونة بلون واحد أو بعدة ألوان[٧٤] • أما الالوان المستعملة في هذا النوع من الخزف والتي لهابريق ولمعان فأبرزها اللون الذهبي، واللون الاحمر، واللون الزيتوني، واللون الاخضر الفاتح ، واللون البني المائل الى الاحمرار[٧٥] • واذا تأملنا في هذه الالوان الجميلة لعلمنا بأنها لم تظهر على سطح الانية بصورة عفوية بل كانت مقصودة لذاتها مما يثير الاعجاب ويرفع من قيمة العمل الذي قام به الخزاف المسلم خاصة وأنه اهتدى الى هذه الطريقة في ذلك العصر القديم الذي لم يسبقه اليها أحد ممن تقدمه في هذا المجال من الصناعة •

استطاع الخزاف المسلم أن يرسم زخارف جميلة مستعملا فيها تلك الالوان البراقة • فقد كشفت حفريات سامراء عن قطع مزينة بعناصر نباتية تمثل فروعا وأغصانا وازهارا وتواريق متنوعة ومراوح نخيلية مختلفة (Palmette) وعناصر مجنحة باسلوب كان مألونا في الفن الساساني (شكل ٩ وشكل ١٠ شكل ١١)• واستعملت كذلك الزخارف الهندسية وقوامها الاشكال المعينية والدوائر المنقطة والخطوط المتوازية[٧٦] ، والمثلثات المتجاورة التي غالبا ما تؤلف نجوما سداسية الرؤوس ، واشكالا أخرى قوامها خطوط متقاطعة تؤلف معينات تشبه في وضعيتها شكل الفسيفساء •هذا بالاضافة الى الخطوط والاشرطة المتموجة والدوائر التي تتوسطها نقاط على هيئة ريش الطاووس والبقع المنثورة بصورة منتظمة ومتجاورة مع بعضها • كما ويلاحظ في هذه الزخارف جميعها أنها موضوعة في معظم الحالات داخل حقول واشرطة ومناطق مختلفة الاشكال • (شكل ٩ و ١٠ و ١١) •

---

(٧٢) الدكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٦٠ • ديماند : الفنون الاسلامية ص ١٧٦ •

(٧٣) الدكتور عبدالعزيز مرزوق : المرجع السابق ص ١١١ •

(٧٤) ديماند : المرجع السابق ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ •

R. L. Hobson : Techniques, in Pope : A Survey of Persian Art, Vol. 4, p. 1698.

(٧٥) ديماند : المرجع السابق ص ١٧٧ •

(٧٦) ديماند : المرجع السابق ص ١٧٧ •

البلاطات والقراميد الخزفية (Tiles) (٧٧)

وهي الواح فخارية مزججة ذات شكل مربع أو مستطيل في أغلب الاحيان ، وتتخذ في بعض الاحيان أشكالا مثلثة أو مضلعات هندسية مختلفة • وهـذه الالواح تحمل زخارف ونقوشا تكون اما كاملة في القطعة الواحدة أو أن الزخرفة تتألف من مجموعة يكمل بعضها بعضا حيث يرسم على كل واحدة منها جزء من تلك الزخرفة •

ورغم أن هذا النوع من الخزف المستعمل في العمارة كان معروفا منذ العصور القديمة في العراق ، الا ان صناعته استمرت في العصر الاسلامي حيث أدخل المسلمون تحسينات عليه واستعملت فيه الزخارف الهندسية والنباتية والكتابات العربية ، كما أنه استخدم بكثرة في العمارة الاسلامية وكان للمساجد القسط الأوفر من هذا التراث حيث ظلت محتفظة به حتى الوقت الحاضر •

وفي خلال حفريات سامراء عثر على نماذج من القراميد الخزفية يمثل معظمها قطعا غير كاملة لعلها كانت تؤلف زخارف جميلة زينت بها جدران الابنية العباسية في هذه المدينة المندثرة • وهذه القطع القليلة تستحق منا الوقوف عندها قليلا وذلك لتعدد الوانها وتنوع زخارفها وأشكالها واستعمال التزجيج ذي البريق المعدني فيها • وينبغي هنا الاشارة الى أنواع القطع المكتشفة في سامراء وأبرز خصائصها •

١ ـ الواح ذات أشكال مستطيلة أو مثلثة صغيرة وأجزاء غير منتظمة الشكل يصعب الحكم على شكلها الاصلي ، وهي مزججة بلون واحد أو متعددة الالوان ، حيث يكون التزجيج مغطيا سطح اللوحة وفي بعض الاحيان يغطي التزجيج القطعة من جميع الجهات • (شكل ١٤) •

٢ ـ قطع مزينة بنقاط ملونة منثورة على سطحها الخارجي بشكل يضفي عليها جمالا • ومما يؤسف له أنه لم تصلنا قطع متكاملة من هذا النوع فمعظمها كسر غير منتظمة الشكل ، وما عثر عليه من قطع قليلة ذات أشكال هندسية منتظمة يدفعنا الى الاعتماد بانها كانت تمثل جزءاً من زخرفة متكاملة تتألف من مجموعة من القطع الهندسية تثبت مع بعضها • والى هذا النوع من القراميد ذات النقاط الملونة المنثورة ترجع بعض الكسر غير المنتظمة التي تحمل زخارف نباتية تمثل أورادا وبقايا أغصان وفروعاً نباتية ملئت الفراغات بينها بتلك النقاط الملونة (شكل ١٤)•

٣ ـ كسر من الواح عليها بقايا أغصان وفروع نباتية باللون البني على أرضية بيضاء تخرج منها أوراق مفصصة وأوراد متعددة الاوراق تجري بصورة متموجة باسلوب قريب للطبيعة • واضافة الى ذلك عثر على قطع ذات زخارف ملونة بعدة ألوان (شكل ١٥)

٤ ـ من القطع الجميلة جزء من لوحة مزين بزخارف ذات بريق معدني قوامها أشكال هندسية معينية في وسطها زهرة يحيط بها أشكال هندسية معينية وغير منتظمة تزينها نقاط ملونة • (شكل ١٤) •

٥ ـ في متحف برلين قطع جميلة من القراميد المكتشفة في سامراء تتألف من ثلاثة أجزاء ، جزء ان منها

---

(٧٧) يطلق على هذه الالواح الخزفية اسم «القاشاني» كذلك نسبة الى مدينة قاشان فى ايران لشهرتها بهذه الصناعة •

ذات زخرفة نباتية تتألف من أغصان مورقة نرى في احداها ما يشبه اكليل الغار • والقطعة الثالثة تزدان برسم طائر يشبه الديك يحيط به غصن تخرج منه أوراق وأزهار مزدحمة يشبه في شكله اكليل الغار • واذا كانت الزخارف الجميلة لهذه القطع المرسومة بالبريق المعدني قد أضفت عليها أهمية فان رسم الطائر عليها قد جعلها من القطع الفريدة وذلك لندرة الرسوم الحيوانية على الخزف ذي البريق المعدني المكتشف في سامراء • (شكل ١٦) •

وفي معرض الكلام عن القراميد يجدر بنا الاشارة الى مجموعة مهمة منها زينت بها واجهة محراب المسجد الجامع في القيروان ببلاد تونس[٧٨] ، كانت قد جلبت من العراق ابان الفترة التي عاشتها مدينة سامراء في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) • فقد ذكرت المراجع العربية ان الامير الاغلبي أبا ابراهيم أحمد (٢٤٢-٢٤٩ هجرية) قام بعدة تجديدات واصلاحات في جامع القيروان من جملتها تزيين واجهة المحراب بقطع من القراميد جلبت من العراق لمجلس أراد أن يعمله في قصره ثم عدل عن ذلك • وقد اضاف اليها قراميد أخرى عملها له رجل بغدادي[٧٩] لغرض اكمالها • ويجلب الانتباه في هذه القطع تلك الوضعية الغريبة لها وعدم تناسقها وتناسبها مع بعضها أحيانا •

يبلغ مجموع هذه القطع من القراميد الخزفية تسعاً وثلاثين ومائة قطعة واستعمل في تزجيجها نوعان: الاول من لون واحد (Monochrome) والثاني متعدد الالوان (Polychrome) • وقد زين قسم منها بتزجيج ذي بريق معدني جميل • أما زخارفها فهي على ثلاثة أقسام رئيسية : هندسية ، نباتية ، كتابات كوفية ، اضافة الى عناصر زخرفية أخرى متنوعة • (شكل ١٧ و ١٨) •

من قول الدباغ[٨٠] بان رجلا بغداديا عمل قراميد اخرى زادها الى قراميد القيروان ويمكن أن نلمس بان تلك القطع كانت مصنوعة في العراق ومن المحتمل أن تكون مصنوعة في سامراء بسبب وجود العناصر الزخرفية المماثلة لما هو موجود على القطع المكتشفة في سامراء (كما هو واضح بين شكل ٩ و١١ من جهة وشكل ١٧ و ١٨ من جهة أخرى) •

---

(٧٨) أشار الى هذه المجموعة المهمة من القراميد عدد من الباحثين من بينهم : الدكتور زكي محمد حسن : المرجع السابق ص ٢٦٤ • الدكتور أحمد فكري : مسجد القيروان ، مصر (١٩٣٦) • ديماند : المرجع السابق ص ١٧٧ ، كونل : الفن الاسلامي ، ترجمة الدكتور أحمد موسى ، القاهرة (١٩٦١) ص ٣٣ •

Georges Marcais : Les Faiences, A Reflets Metalliques De La Grande Mosquee De Kairouan, Paris, 1928.

(٧٩) عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الانصاري المعروف بالدباغ : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، تونس (١٣٢٠ هـ = ١٩٠٢ م) ، ج٢ ص٩٥-٩٧ •

(٨٠) المرجع السابق ، نفس الصفحات •

شكل ـ ١ ـ

زيركبير مزجج بلون أخضر ، قرب الفوهة نطاق من حزوز غائرة وعلى قسمه الاسفل نطاق محزز بارز قليلا (القياس ٣٩ × ٣٢ سم) .

شكل ـ ٢ اناء كبير عميق الغور مزجج بلون ازرق (القياس ٢١ × ٥٧ سم)

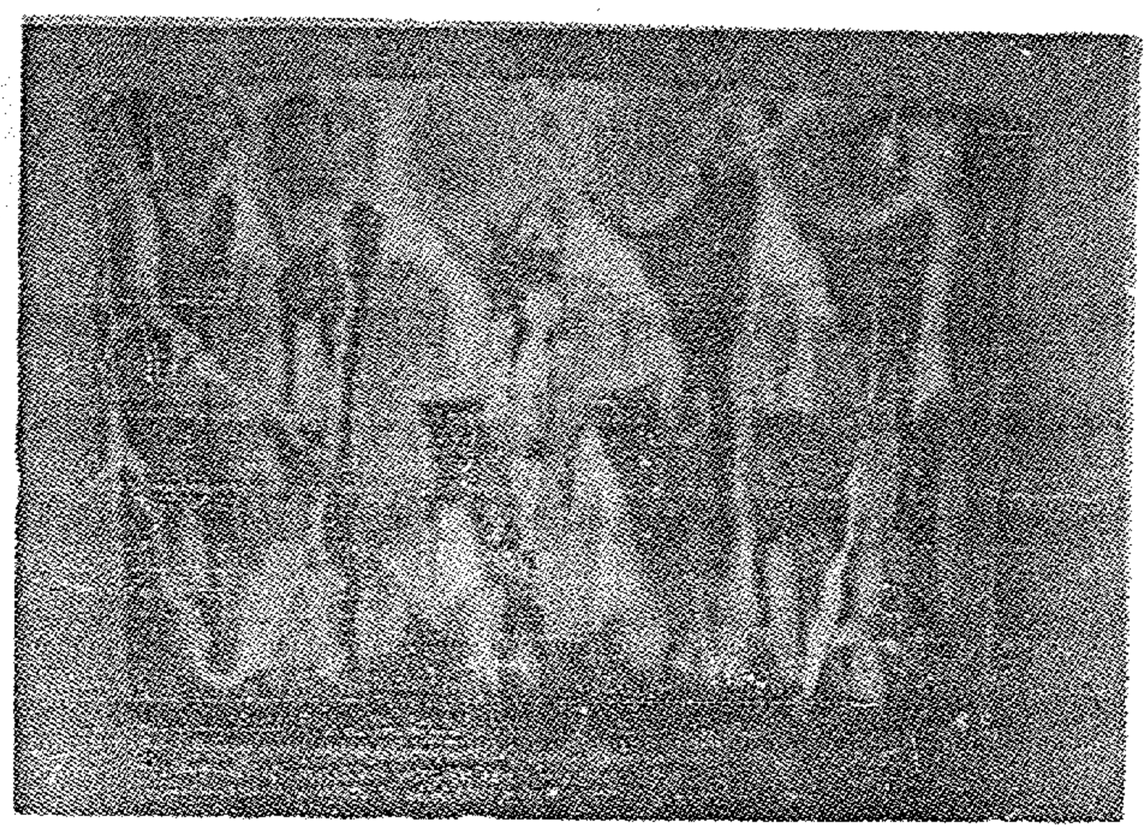

شكل ٣ أ ـ اناء صغير مزجج بالوان متعددة على شكل بقع غير منتظمة

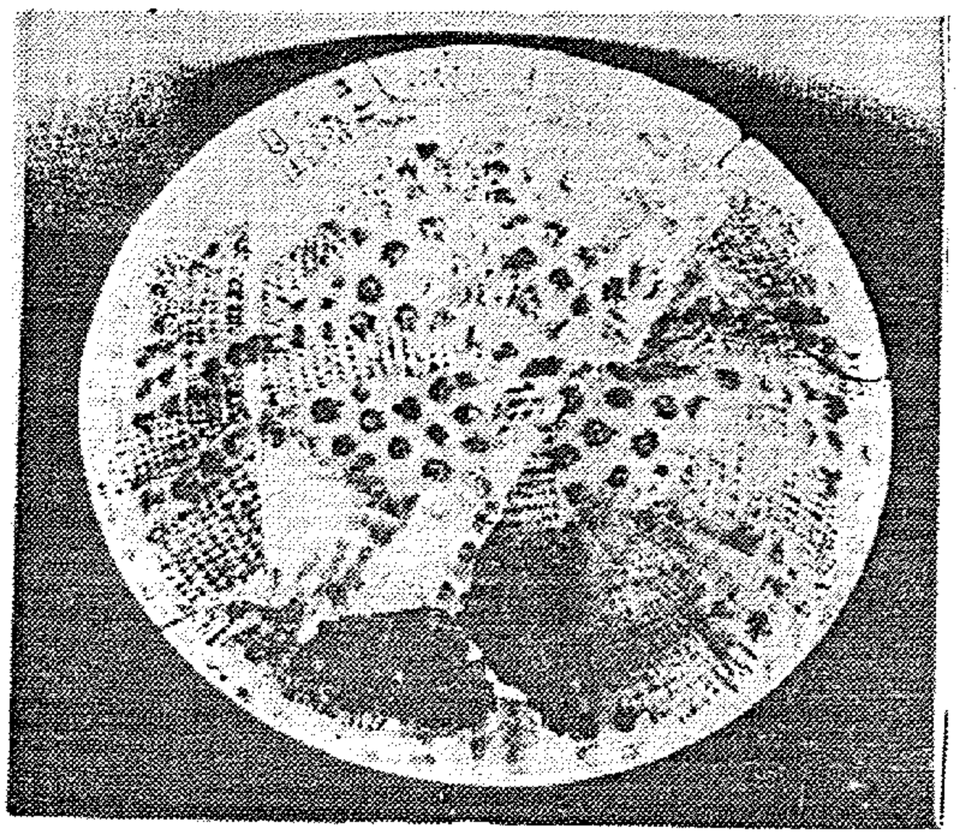

شكل ٣ ب ـ صحن مزجج بألوان متعددة على شكل بقع صغيرة وكبيرة

Sarre: Die Keramik. Von Samarra, Tafel XXXI 2

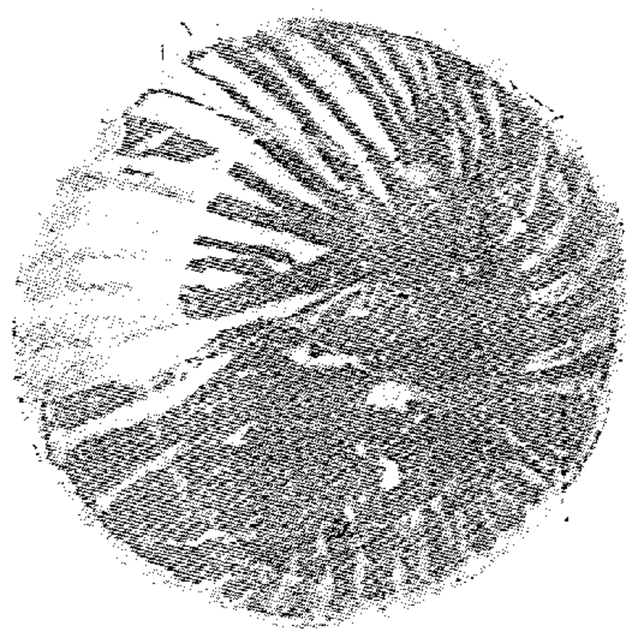

شكل ـ ٤ صحن صغير وعميق مزجج بألوان مختلفة (القياس ٥ر٦ × ٥ر٢٠ سم)

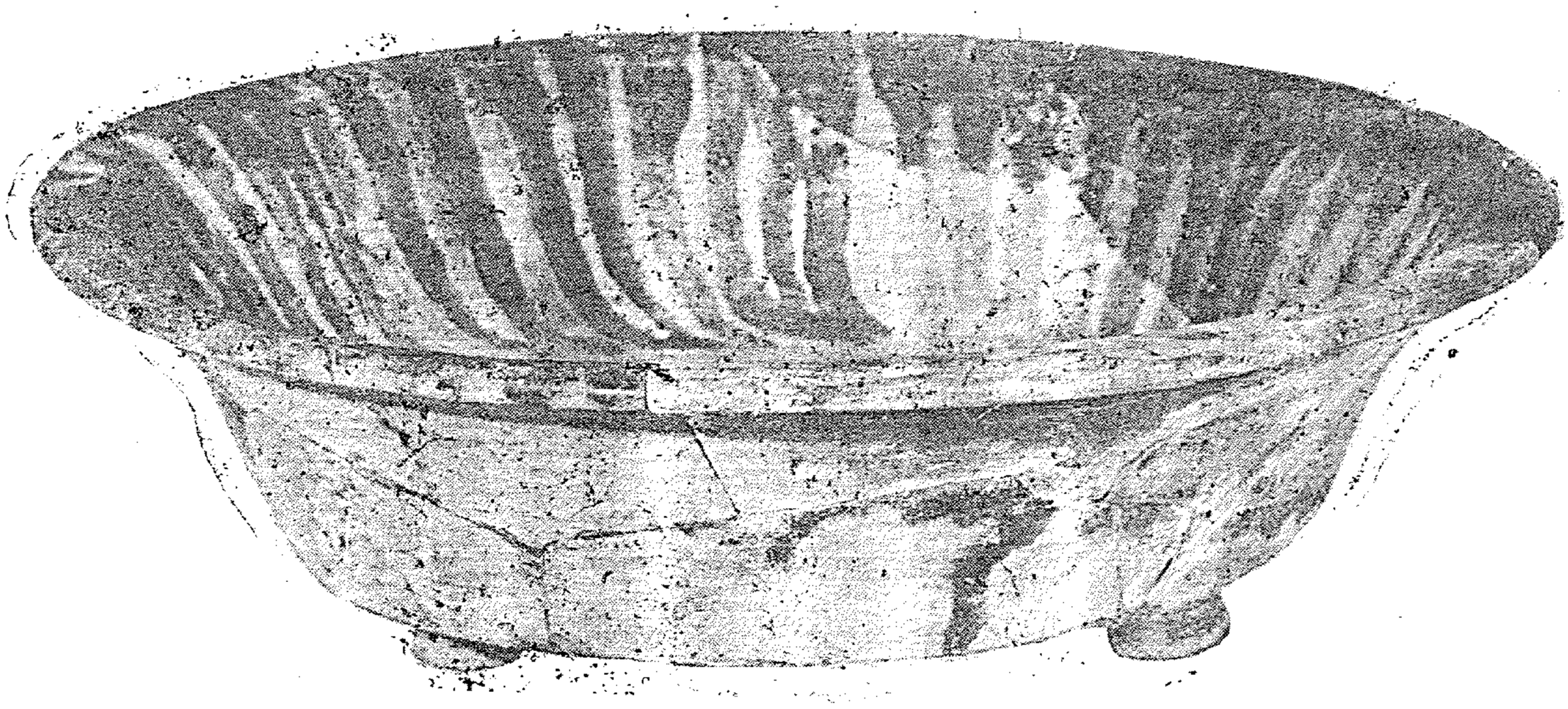

شكل ـ ٥ اناء مزجج بألوان مختلفة على شـــكل أشرطة متجاورة (القياس ٣ر١٠ × ٣ر٣٣ سم)

شـــكل ـ ٦ قعـر اناء مزجـج عليـه رسم طـير
(القياس ٥ر٢ × ٥ر٩ سم)

شكل ـ ٧ جرة صغيرة مزججة بألوان متعددة وعليها ما يشبه الكتابة العربية (عن كتاب سره :
Sarre: Die Keramik Von Samarra, Tafel. 1, XVI).

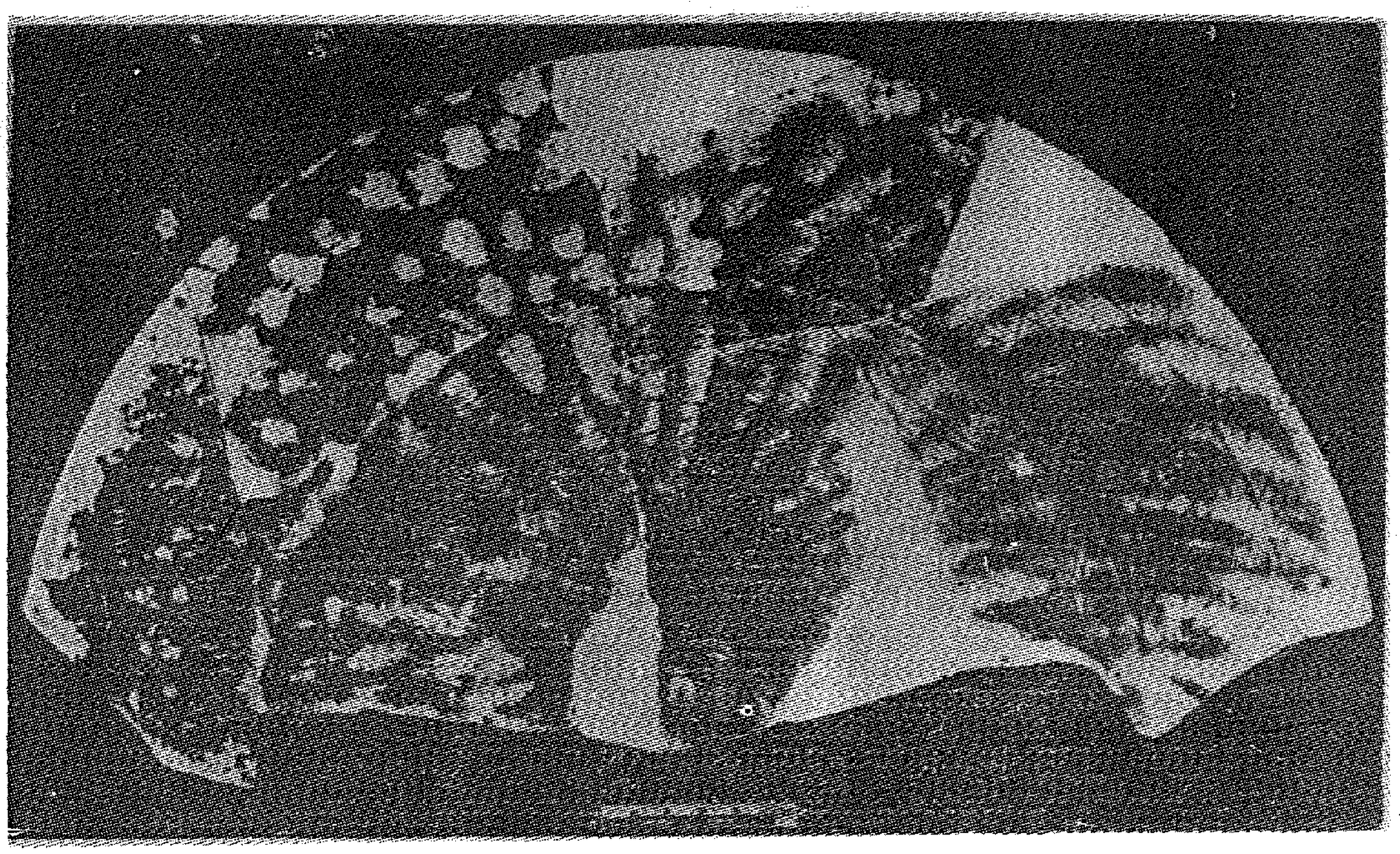

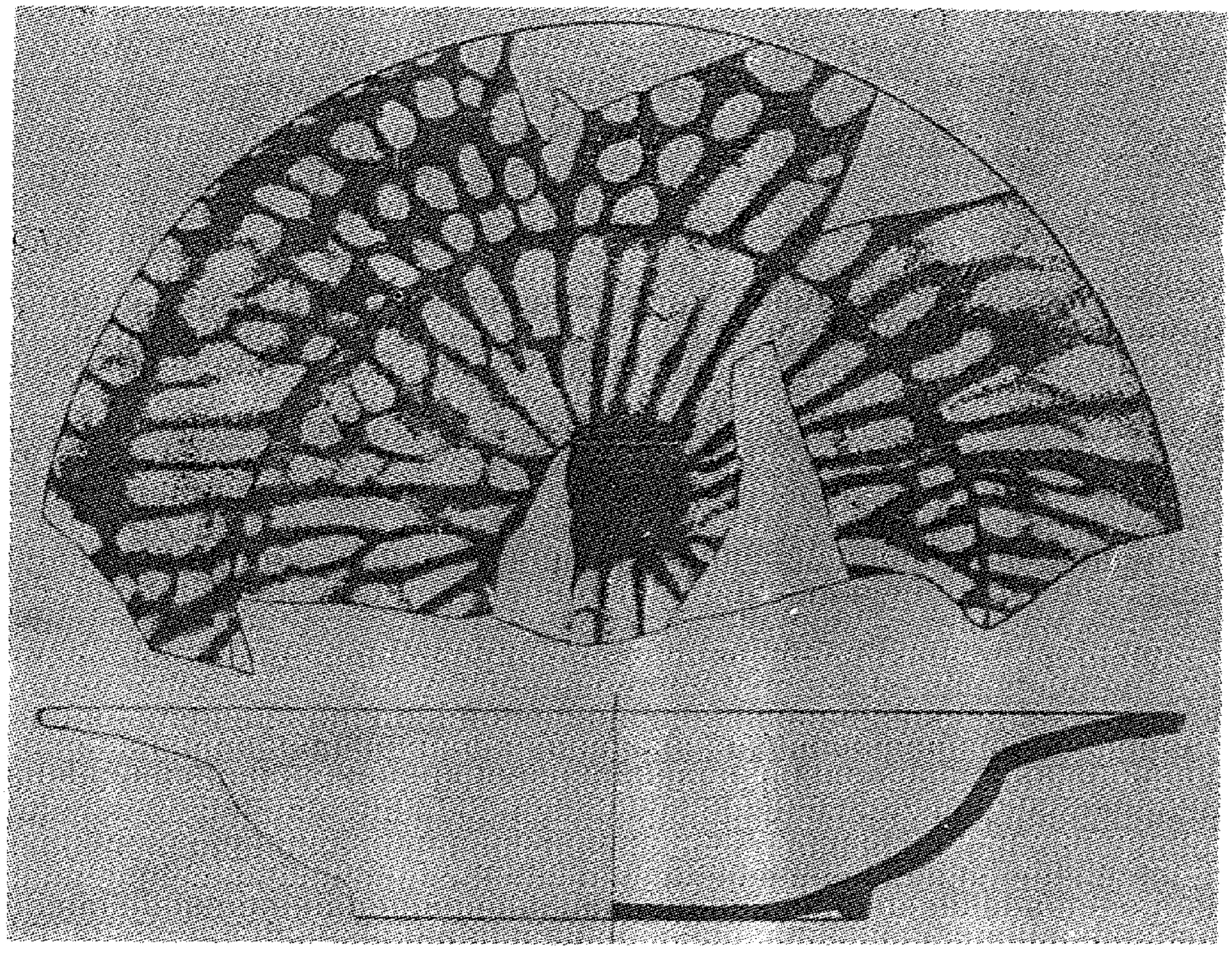

شكل ـ ٨ آ جزء من صحن تزينه حـزوز تحـت التزجيج (كرافيتو) مع رسم هندسي لشكل الاناء
(عن كتاب مديرية الاثار العامة : حفريات سامراء ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ حـ٢ شكل ٨٢ر٨٣)

شكل ـ ٨ ب رسم توضيحي للزخارف المحززة المستعملة في الشكل ٨ آ

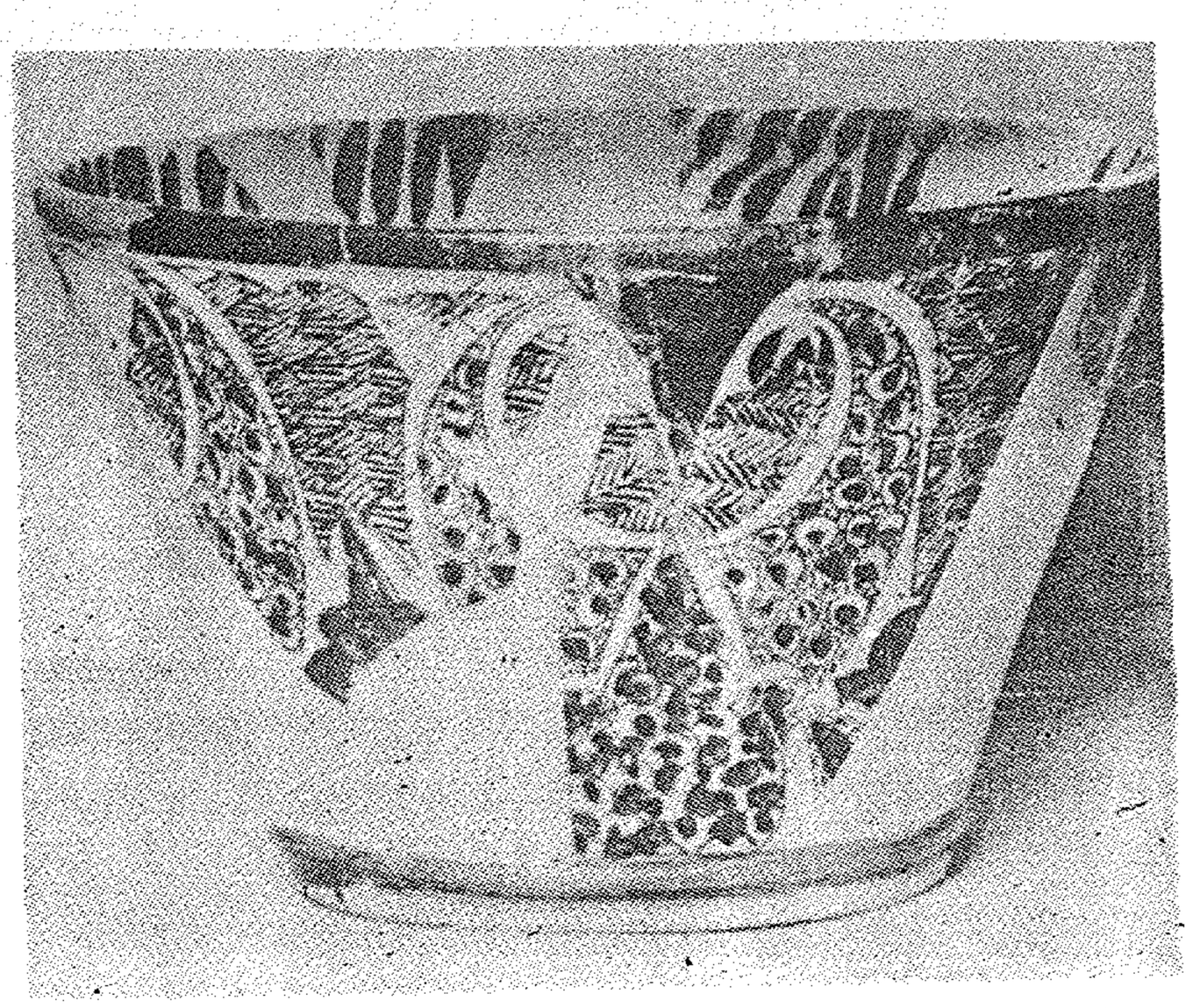

شكل ٩ ـ اناء عميق الغور مزجج عليه زخارف ذات بريق معدني
(عن كتاب سره Sarre لوح XVI, 2)

شكل ١٠ ٠ صحن عميق الغور مزجج من الداخل عليه زخارف
ذات بريق معدني
(عن كتاب سره Sarre لوح XIII,2)

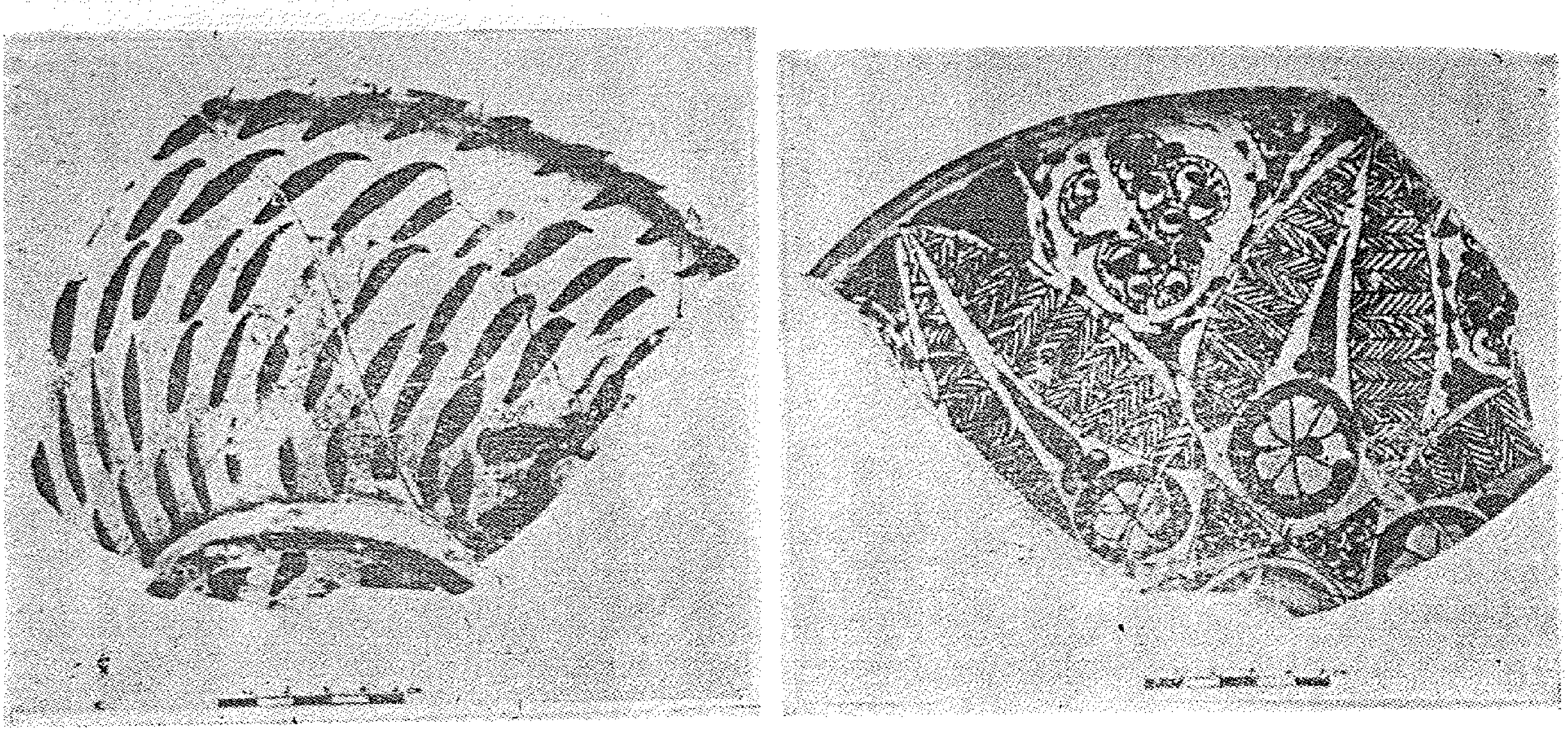

شكل ـ ١١ جزء من اناء عليه زخارف ذات بريـق معدني من الداخل ومن الخارج (عن كتاب مديرية الاثار العامة : حفريات سامراء ج٢ شكل ٩٢)

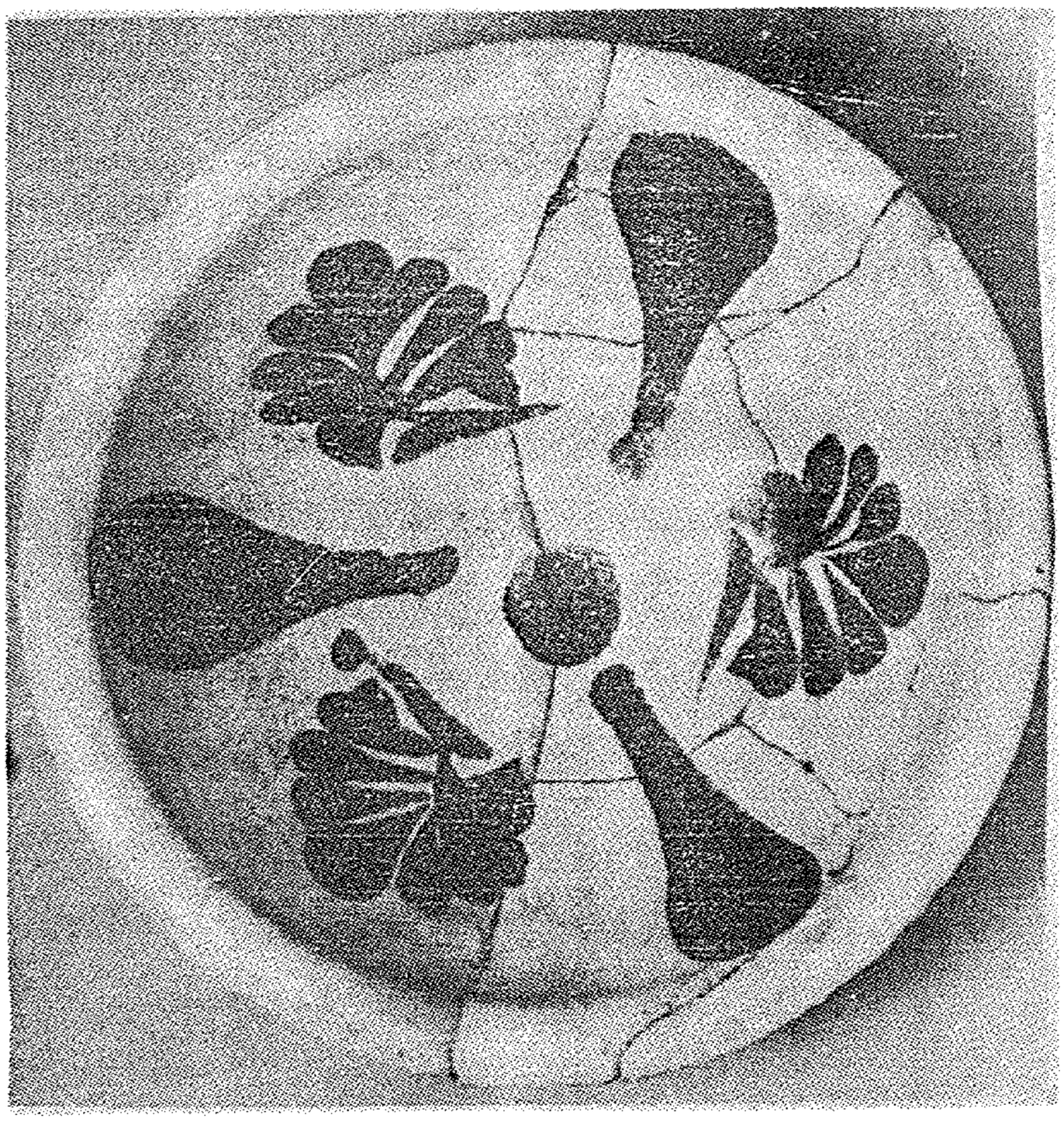

شكل ١٢ آ صحن مزجج بلون ابيض وعليه زخارف ذات لون بنفسجي
(عن كتاب Sarre لوحة XVIII, 64 .

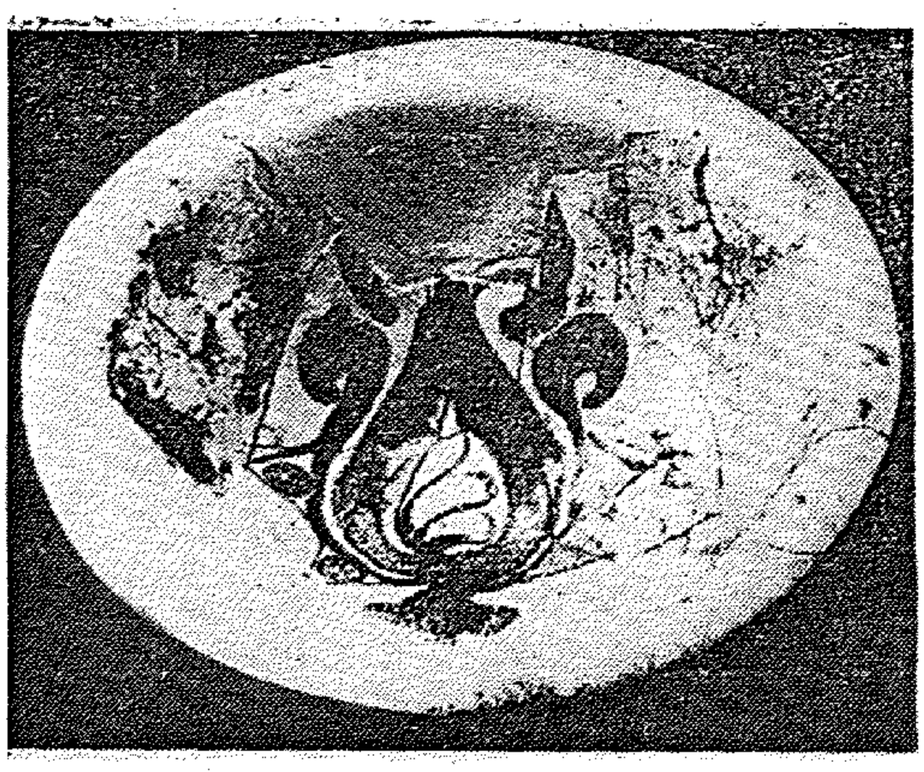

شكل ١٢ ب اناء مزجج تتوسطه
زخرفة نباتية ملونة

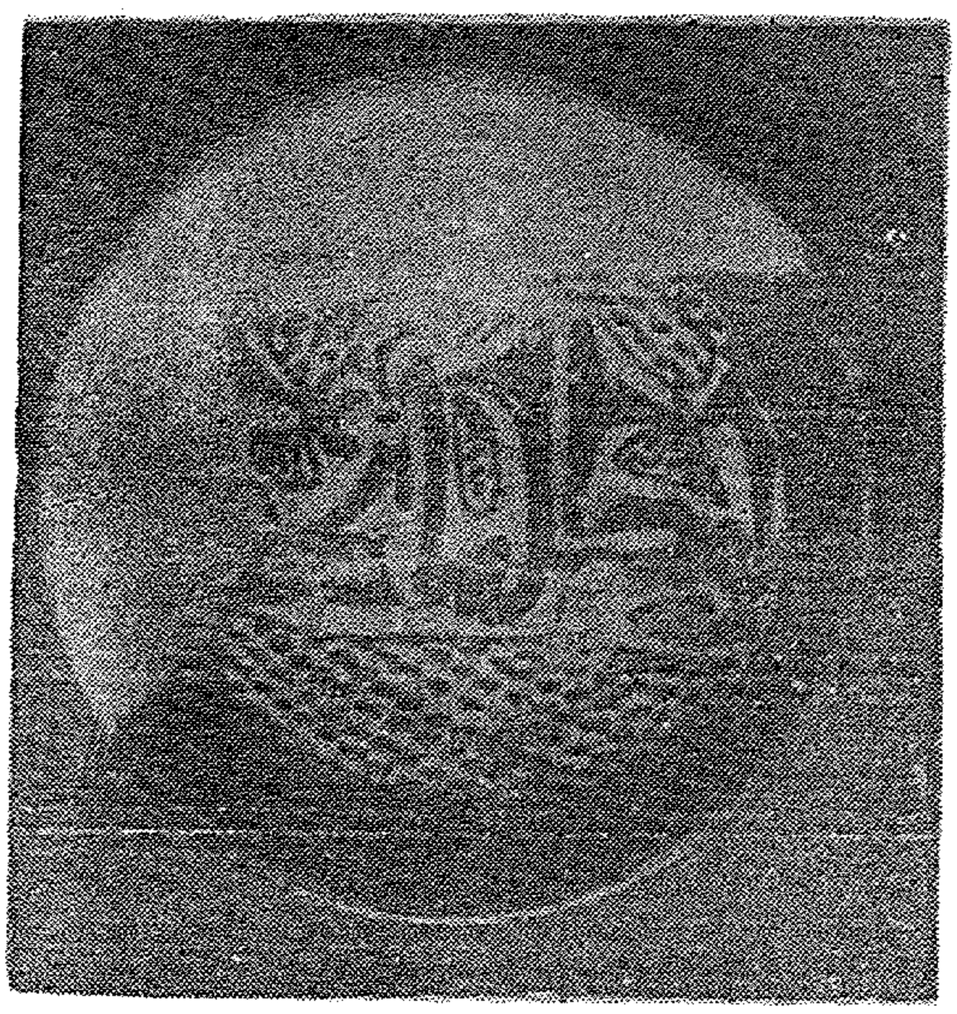

شكل ١٣ ـ آ صحن عليه زخارف ذات بريق معدني وتزينه من الداخل كتابة عربية (عن كتاب Sarre لوحة XIV)

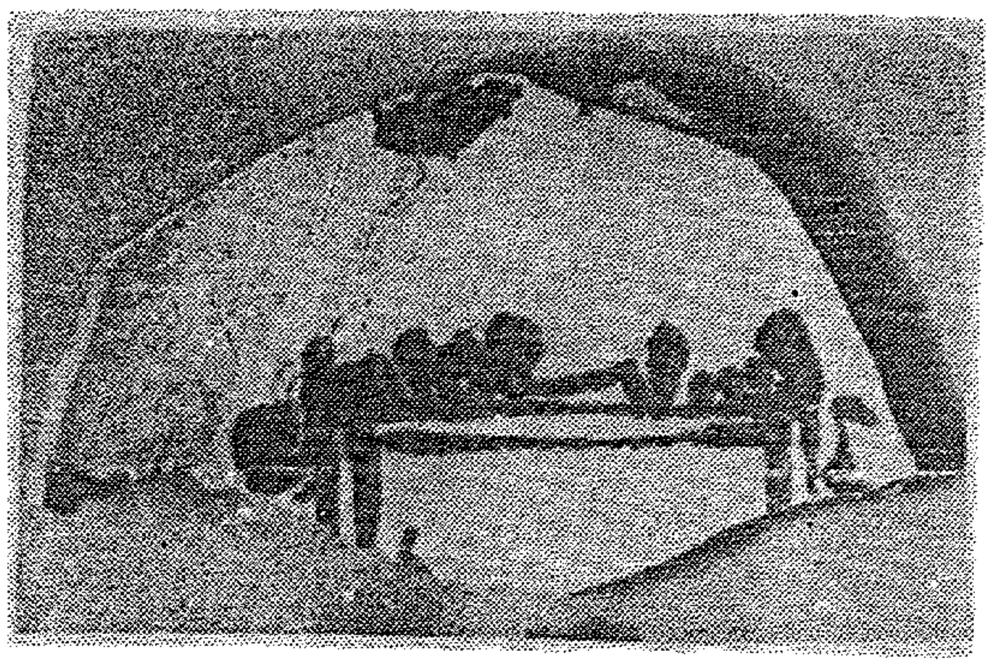

شكل ١٣ ب كسرتان من آنية مزججة بلون أبيض وعليهما كتابة عربية ذات لون بنفسجي وأسود (عن كتاب Sarre لوحة XVIII)

شكل ١٤ ـ قطعة قراميد مزينة بزخارف ذات بريق معدني

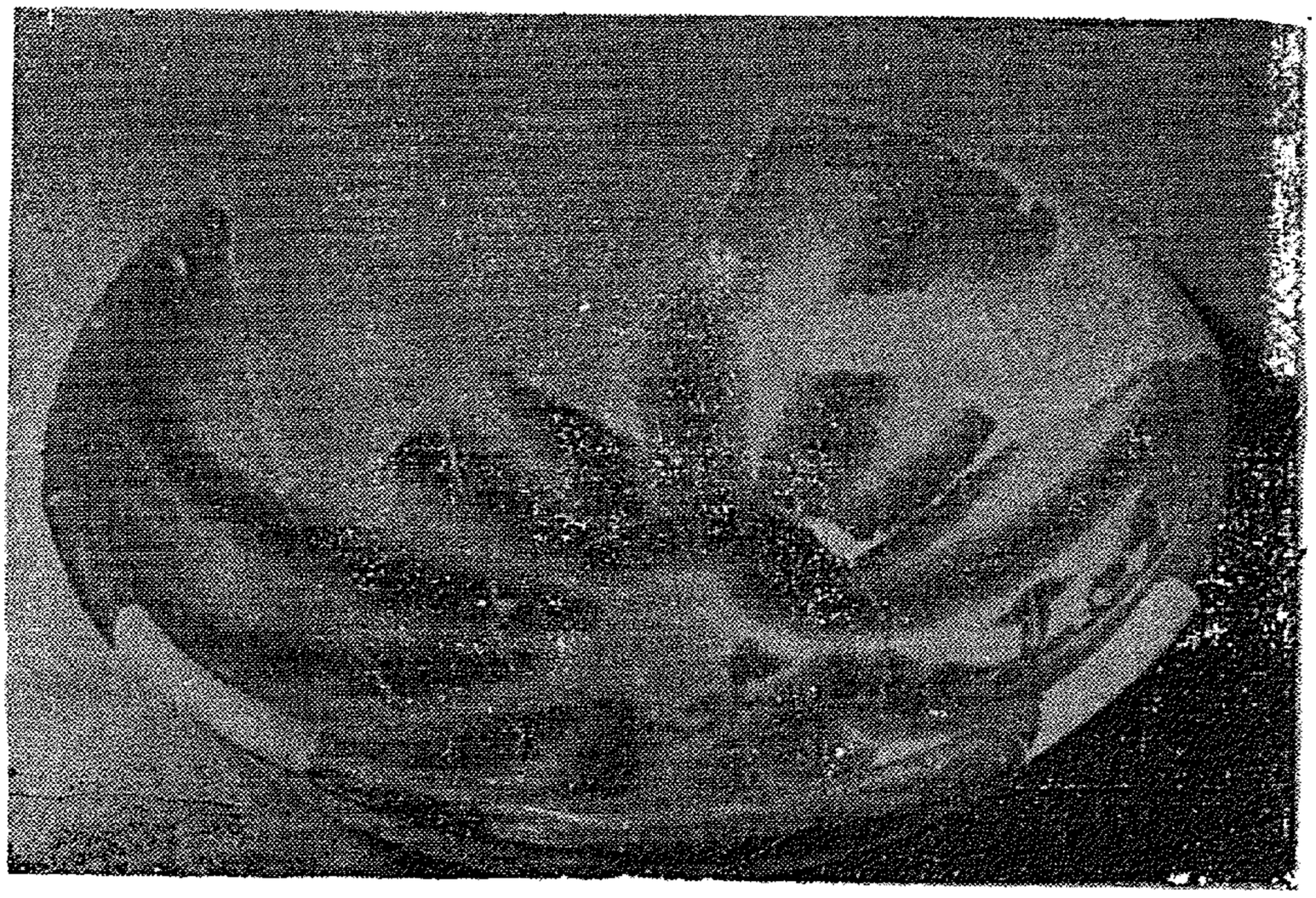

شكل ١٣ ج صحن عليه زخارف وكتابات عربية

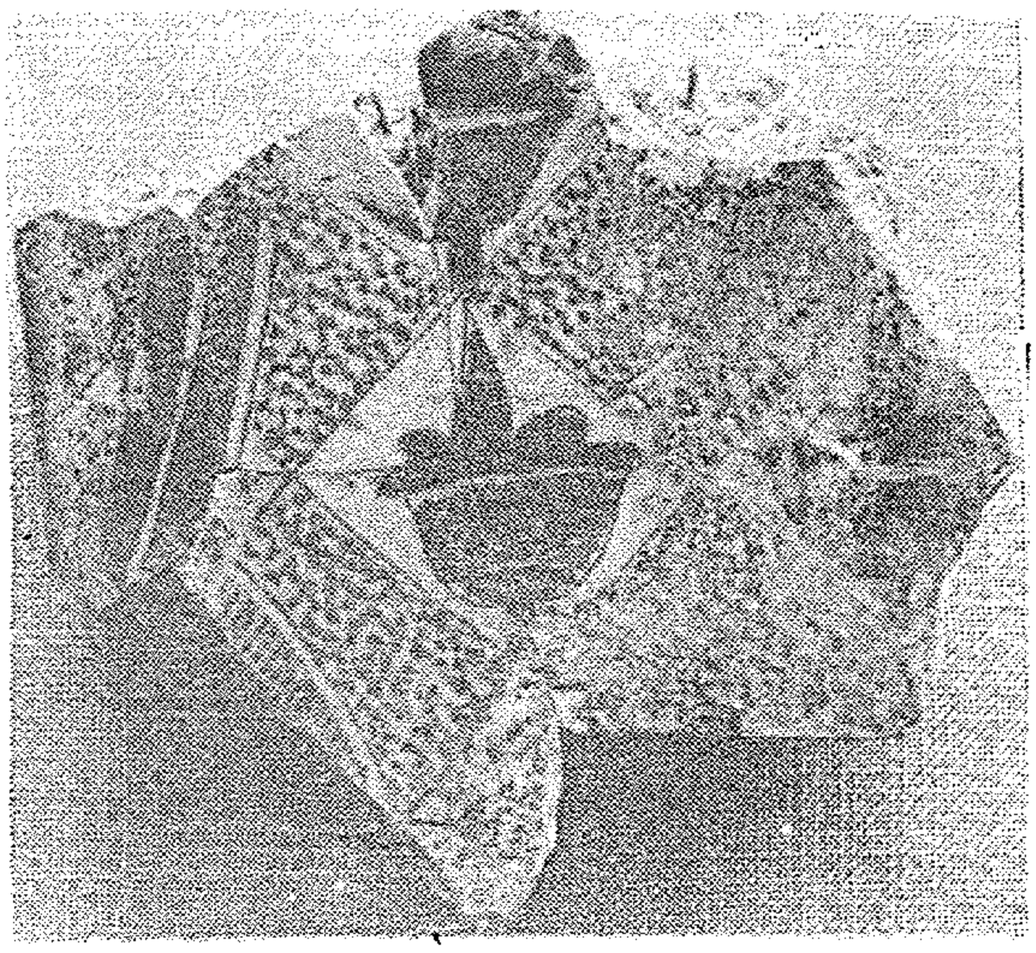

شكل ١٥ ـ كسر من القراميد مزينة بأغصان نباتية مورقة ، بنية اللون فوق أرضيه بيضـاء

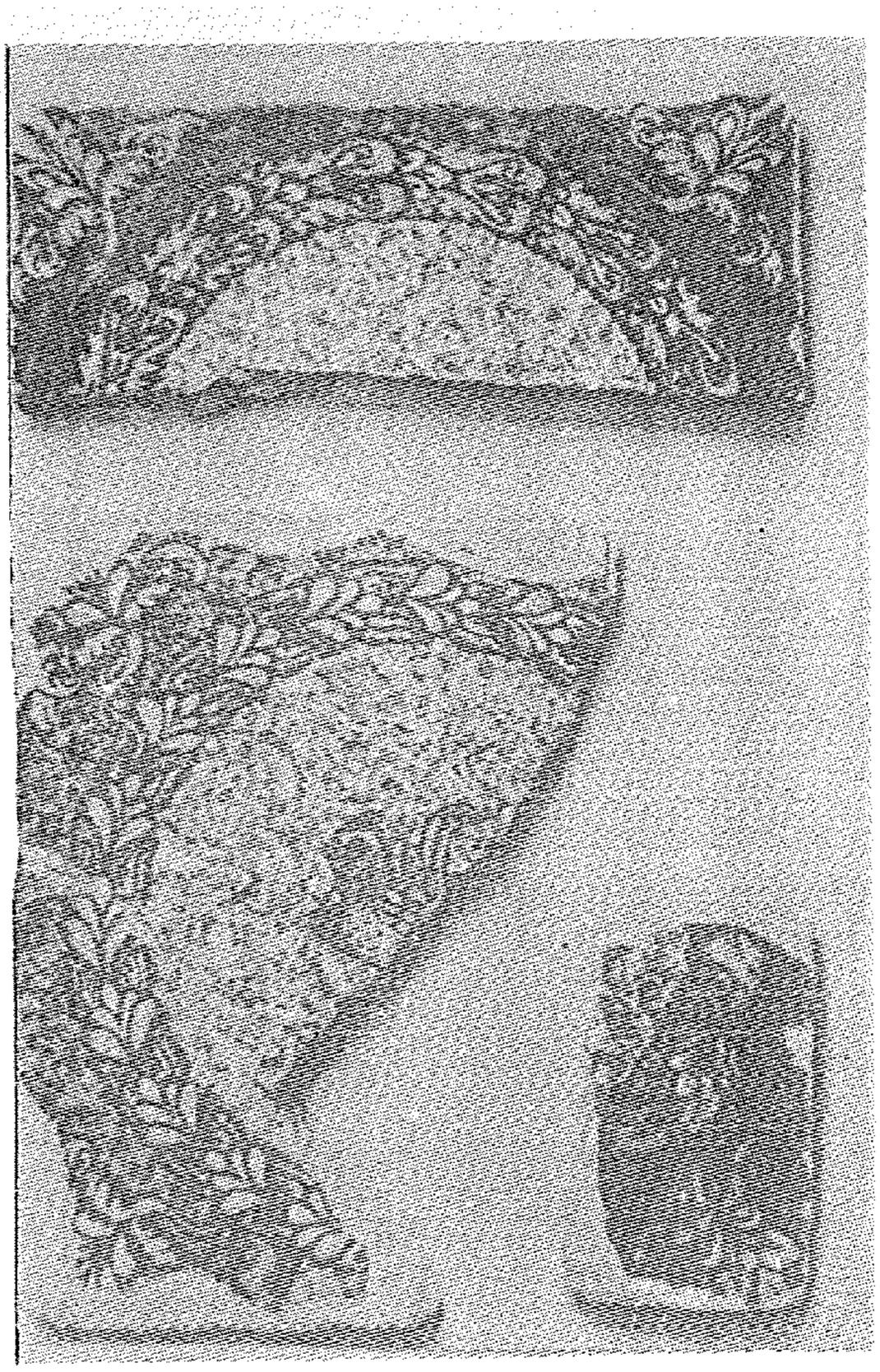

شكل ١٦ آ ثلاث قطع من القراميد تزينها زخارف ذات بريق معدني وعلى احداها يظهر رسم ديك (عن كتاب Sarre لوحة XXII)

شكل ١٣ ب رسم تخطيطي للقطعة التي يتوسطها رسم ديك
(عن كتاب Sarre, Abb. 122, 197)

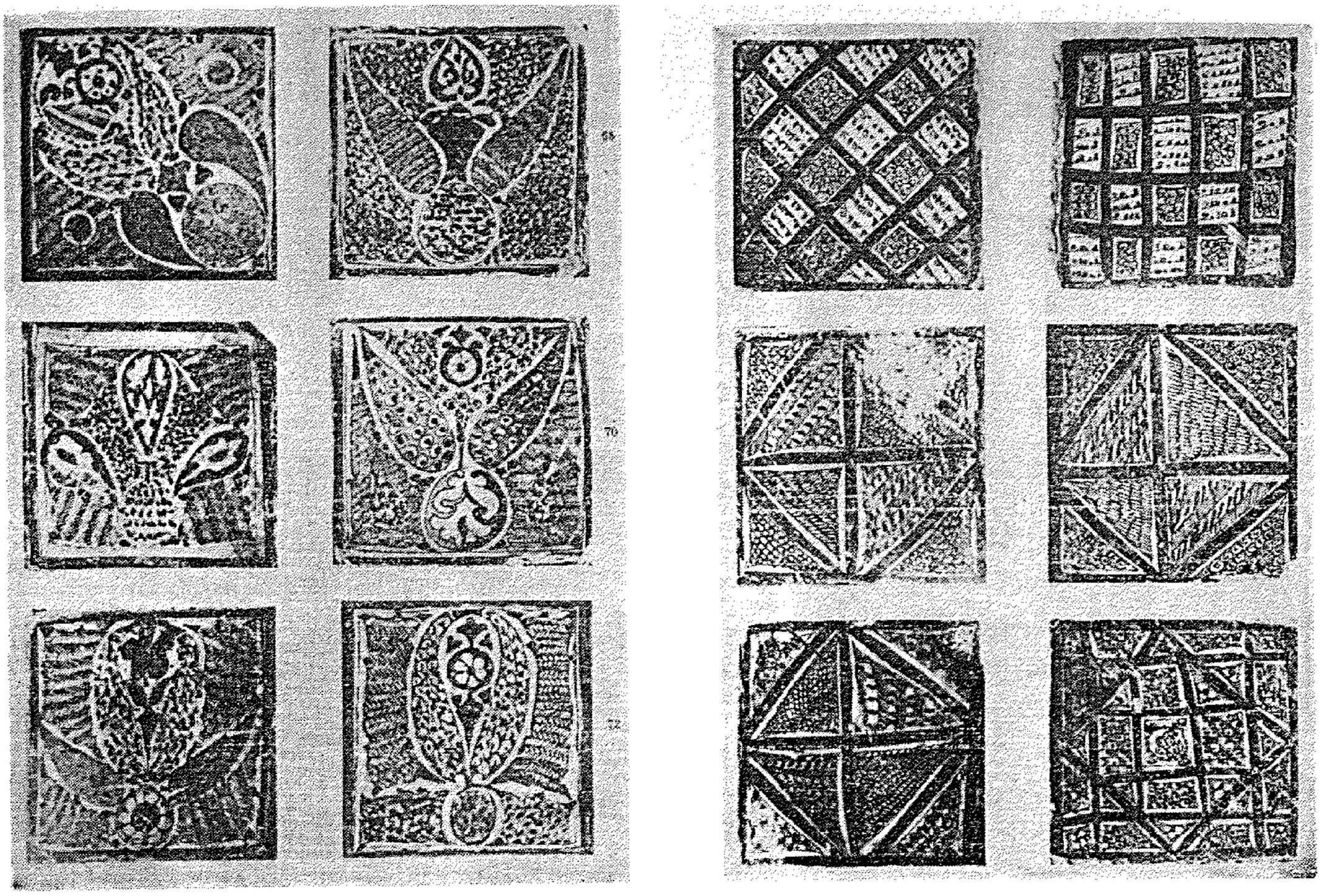

شكل ـ ١٧ ـ

آ ـ قطع من القراميد من مسجد القيروان عليها رسوم هندسية وما يشبه الكتابة العربية (عن كتاب (Marcais, Faiences De Kairouan Pl. 1).

ب ـ قطع من القراميد من مسجد القيروان عليها رسوم ذات عناصر نباتية ومجنحة (عن كتاب Marcais لوحة XII)

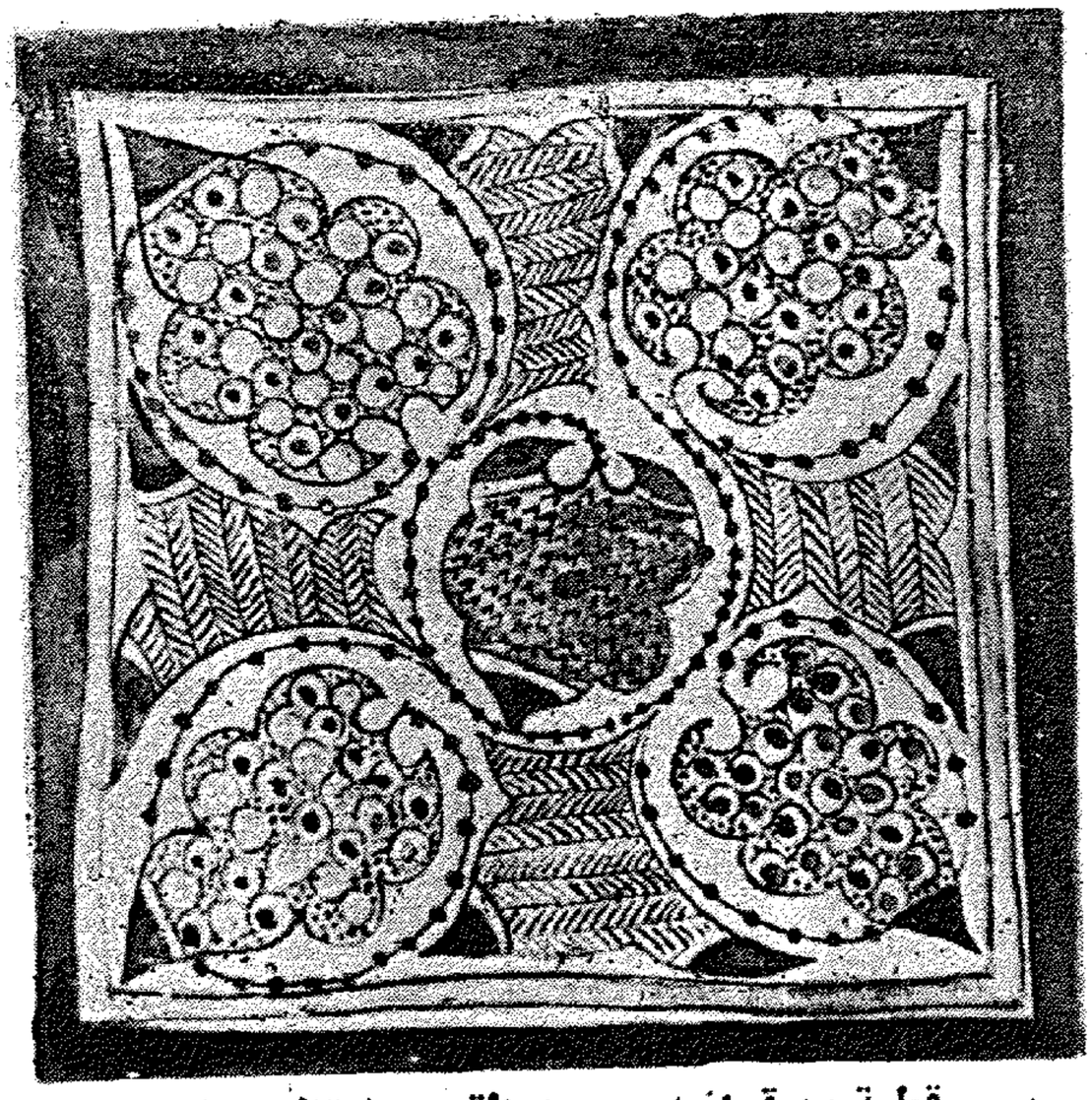

شكل ١٨ ـ رسم قطعة من قراميد مسجد القيروان تظهر عليها مراوح نخيلية مفصصة بداخلها دوائر صغيرة منقطة ويفصلها عن بعضها خطوط تشبه سعف النخيل وجميعها ذات بريق معدني والوانها متعددة
(عن كتاب Marcais لوحة XXV)